الكتاب: نقد كتاب حياة محمد (ص)
المؤلف: السيد عبد الحسين نور الدين العاملي
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع: ١٤٢٢ ه / قم
المطبعة:
الناشر: مؤسسة السيد المعصومة (س)
ردمك: ٩٦٤-٦١٩٧-٧٠-X
ملاحظات: أمر بطباعة الكتاب : مرجع الديني سماحة آية الله العظمى الصافي الگلبايگاني

نقد كتاب حياة محمد (ص)
للدكتور محمد حسين هيكل
بقلم
العلامة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي
أمر بطبعه
المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ الصافي مد ظله

* هوية الكتاب
* الكتاب: نقد كتاب حياة محمد (ص)
* المؤلف: للدكتور محمد حسين الهيكل
* بقلم: العلامة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي
* أمر بطباعه: مرجع الديني آية الله العظمى الشيخ الصافي الگلبايگاني
* الناشر: مؤسسة السيدة المعصومة (عليها السلام)
* شابك: × - ٧٠ - ٦١٩٧ - ٩٦٤
ISBN: ٩٦٤ - ٦١٩٧ - ٧٠ - X

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على نبينا
محمد وآله الطيبين الطاهرين
تشعر إذا جلست بحضرة المرجع الديني الكبير الشيخ لطف الصافي دام ظله.. أنك مع عالم عالم، يتصل فيه القديم بالجديد، فهو يعيش قرنه الماضي وعصره الحاضر بوعي وهدف، ويتحدث معك في الموضوع رابطا فيه المسألة العقائدية أو الشرعية، بآياتها وأحاديثها، وقصص العلماء والناس المتعلقة بها..
ولا تعجب إذا تضمن حديثه فكرة سمعها من مرجع توفي من سبعين سنة، أو استشهد بموضوع نشر في مجلة المقتطف المصرية، أو في الأعداد الأولى لمجلة العرفان اللبنانية..!

فعمره الشريف يخطو نحو المئة، حفظه الله وأطال عمره، وقد كان طالبا نابغا من صغره، وعاش في أحضان العلم والتقوى ودرس على مراجع قدماء، وكان معتمدا عندهم كالسيد جمال الكلبايكاني، والسيد البروجردي، والسيد الكلبايكاني الكبير.. أعلى الله مقامهم.

وقد كتب من شبابه إلى اليوم أكثر من مئة كتاب ورسالة، وشارك في عشرات المجلات الفكرية والمؤتمرات، ولقي العديد العديد من العلماء وأهل الفكر.. ومن طريف ما لاحظته في مؤلفاته أنه نقح كتابه المعروف (منتخب الأثر في أحاديث الإمام الثاني عشر عليه السلام) بعد نصف قرن من تأليفه.. وهذا من نوادر ما يحدث لمؤلف!

* *

أما مكتبة المرجع الصافي، فهي صورة عن علمه وثقافته واهتماماته.. تجد فيها مصادر الفقه وأصوله، والحديث والتفسير، وما يهتم به المجتهدون عادة.. وتجد إلى جانبها سجلا واسعا لتاريخ المسائل العقائدية والاجتماعية، التي طرحت في العالم الاسلامي وخاصة في إيران من قبل عهد رضا شاه.. إلى ما كتبه هو اليوم من توجيهاته للشباب الإيراني المسلم فيما يجنبهم الانحراف والتغريب، وللمرأة الإيرانية المسلمة أن لا تنخدع بنمط المرأة الغربية، التي فقدت الكثير من إنسانيتها وكمالها بإهمالها لبيتها، وانخراطها في العمل الاجتماعي والفني والسياسي!

* *

كان حديثنا عن السيرة النبوية، وما كتب فيها قديما وجديدا.. وجرى ذكر كتاب (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل، وكيف عمل لإرضاء أتباع الخلافة القرشية، فسعى جاهدا لإثبات أدوار لبعض الصحابة القرشيين، وظلم عليا وأهل البيت عليهم السلام، وتعمد التعتيم على دورهم في إنشاء الأمة وإرساء الإسلام!

وكيف أن هيكل خضع لضغط المتعصبين فحذف من كتابه في طبعاته اللاحقة حديث الدار، حيث جمع النبي صلى الله عليه وآله بني هاشم وكانوا أربعين رجلا، امتثالا لقوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) فدعاهم إلى الاسلام، وأخبرهم أن ربه أمره أن يتخذ من أجابه منهم أخا له ووزيرا وخليفة ووصيا، فأجابه علي وحده، فقال لهم النبي: هذا خليفتي ووزيري ووصيي فاسمعوا له وأطيعوا... فحذف هيكل هذا الحديث النبوي المعجز من كتابه بعد أن كان أثبته في طبعته الأولى!!

قال لي المرجع الصافي: هل رأيت رد السيد عبد الحسين نور الدين العاملي عليه؟

قلت: لا، لكن سمعت به.

قال: الكتاب عندي، وسأعطيك إياه لعلك تنشره، فقد جاء بهذا الكتاب المرحوم الشيخ حبيب المهاجر العاملي، وقدمه إلى المرجع المرحوم السيد البروجردي، فأمر بطباعته، وطبع يومذاك..

وأخذت الكتاب، وهو كراس طبع قبل ست وأربعين سنة في مطبعة الحكمة بقم، باسم (السيد عبد الحسين نور الدين العاملي والهيكل)! وكتب عليه الشيخ الصافي بخطه:

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا الكتاب الشريف خرج من عالم الطباعة إلى عالم النشر لما استجوده زعيم الفرقة المحقة المرجع الأكبر والفقيه الأعظم مولانا وأستاذنا آية الله العظمى السيد البروجردي، لما عرضه عليه العالم الجليل الحجة المجاهد الشيخ حبيب آل إبراهيم المهاجر العاملي عند زيارته له بقم المشرفة، فأمر سماحته بطبعه ونشره، جزاهما الله وجزى مؤلفه العالم الكبير السيد عبد الحسين نور الدين عن الاسلام وأهله.
لطف الله صافي
* *

ولا يتسع المجال لأن نترجم هنا للمرجع الراحل السيد البروجردي قدس الله نفسه. وكذلك العلامة الشيخ حبيب آل إبراهيم المهاجر العاملي رحمه الله، ومؤلف هذا الكتاب العلامة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي النباطي رحمه الله..
لكن لا بد أن نشير إلى بعض ما امتازت به مرجعية السيد حسين البروجردي قدس الله نفسه الزكية، وتوفر في شخصيته، من ثقافة شمولية، واهتمامات علمية وعملية، وصفاء في النفس والهدف، وصفات أخرى.. كان بها امتدادا لنوابغ مراجعنا الموسوعيين.
فقد بلغ تأثيره العلمي رحمه الله أن بعض نظرياته العلمية ما زالت حاكمة في بحوث فقهاء الحوزة بعده، مثل تمييزه بين الفقه المتلقى عن أهل البيت عليهم السلام،

أهل البيت عليهم السلام، والفقه التفريعي الذي فرعه فقهاء المذهب.. واختصاص القسم الأول ببعض الأحكام كالشهرة العملية دون الثاني.
وتأكيده على أهمية الوثوق بصدور النص في عملية الاجتهاد، مضافا إلى التمسك الصناعي بالدراسات الرجالية المتعارفة، التي ألف فيها واستوعب مصادرها عند الجميع في الجرح والتعديل.
وتأكيده على العلاقات الثقافية بين علماء المذاهب، ومساندته دار التقريب في القاهرة، ودعوته شيخ الأزهر والاحتفاء به في إيران..
هذا، مضافا إلى عمله في خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام، ودفع الشبهات عنه، وطباعة مصادره ونشرها في العالم.. واهتمامه بالعلماء العاملين ومساندته المعنوية، وأحيانا المادية لنشاطاتهم، ومن ذلك إعجابه بالمرحوم الشيخ حبيب المهاجر، الذي قدم له هذا الكتيب في إحدى زياراته لإيران، فأمر رحمه الله بطباعته.
أما المهاجر العاملي رحمه الله، فهو من علماء جبل عامل الناشطين في حقل التبليغ والتأليف والنشر.. فقد كان رحمه الله في مطلع عمره في الثلاثينات وكيلا للمرجع السيد أبي الحسن الأصفهاني قدس سره في منطقة العمارة في العراق (محافظة بيسان)، وقام بنشاط واسع في هداية الناس إلى الدين، ورد شبهات المبشرين..
ثم عاد إلى لبنان وسكن مدينة بعلبك وألف عددا من الكتب في العقائد، وأصدر مجلة فكرية (الاسلام) وأسس مطبعة في بعلبك، كما

كان يقضي فترة من سنته في بيروت في منطقة الشياح، وقد ربى هناك جيلا من المؤمنين.
وأما السيد عبد الحسين نور الدين النباطي، فهو من الفضلاء المعروفين في عصره في جبل عامل، ولم أره بل عاصرت في النجف ابنه العلامة السيد عبد الكريم، وكان مثالا للهدوء والتقوى والسلامة.. وأسرتهم أسرة نور الدين، من أحفاد السيد محمد صاحب المدارك أعلى الله مقامه. ولم يتيسر لي أن أتصل بهم لعلي أجد عندهم بقية مسودات هذا الكتاب الجيد، وقد ضعف أملي بوجود بقية منه ما كتبه الشيخ المهاجر في هامش موضوع المؤاخاة، قال: (وجدت قد سقط من كلام السيد صفحتان، فتشت عليهما، وكتبت إلى بيت السيد في النبطية فلم يعثر عليهما). تغمدهما الله برحمته.

* *

ونظرا إلى أن الكتاب وصل إلى المرحوم الشيخ المهاجر مسودة، وجاءت طبعته ضعيفة مملوءة بالأغلاط، فقد رأيت أنه لابد من إصلاح بعض عباراته المغلقة أو غير المفهومة، فأصلحتها بما يطمئن القارئ إلى أنه مقصود الكاتب.. كما ينبغي الإشارة إلى أن المؤلف اعتمد على الطبعة الأولى من كتاب (حياة محمد) التي طبعت سنة ١٣٥٤ هجرية، وهي نادرة، وقد طبع بعدها بطبعات كثيرة تختلف صفحاتها.. وقد طبقها الشيخ المهاجر على الطبعة الثانية، ومما يسهل الأمر وجود عناوين المواضيع التي تسهل على الباحث أن يجد أصل كلام الدكتور هيكل في فصله الخاص.

أملي أن يكون هذا النقد لسيرة هيكل، مفيدا في رفع بعض مظلومية أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وبيان شئ من دورهم العظيم مع النبي صلى الله عليه وآله في إنشاء الأمة وإرساء الإسلام، فهم فروع شجرته المباركة وأعضادها، الذين لا يفترقون عن القرآن حتى يردا على النبي الحوض، وهم شطأ زرعه الرباني، لأن شطأ الزع فرخه المتفرع عنه، فهم لا غيرهم الذين قال الله تعالى فيهم:

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة.

ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع، ليغيظ بهم الكفار. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما).

صلوات الله عليهم، وجعلنا معهم في الدنيا والآخرة.

كتبه: علي الكوراني العاملي

في الثاني من شوال المكرم ١٤٢٢

مقدمة العلامة الشيخ حبيب المهاجر رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد

وآله الطيبين الطاهرين

وبعد، فإن أولى ما يجري به القلم وأحق ما ينطق به اللسان هو ما يحقق الغاية التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من تبيان ما جرى له ووصف ما بناه، أو الكشف عما أتى به بصورة واضحة جلية لا لبس فيها ولا تعقيد.. لينظر كل امرؤ يهمه ذلك فيكون من أمر دينه على بصيرة، ومن تكاليفه على بينة.

ومن هنا اعتنى أهل العلم بتدوين ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وقسموه إلى أقسام.. فمنهم من كتب في خصائصه ومزاياه، ومنهم من كتب في سيرته ومغازيه، ومنهم من كتب فيما نطق به وقاله من

الأحكام في الحلال والحرام، وهلم جرا.. إلى كثير من أنواع العلوم والفنون التي جاء بها صلى الله عليه وآله.
ولما كانت الإفادة والاستفادة منها إنما تكون بنقل الحوادث والأخبار على ما هي عليه من غير تحريف ولا تغيير ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان، اشتدت العناية بضبط ذلك كله، خاصة أنه قد علم إن حبل السياسية قد اضطرب بعده، وأن الناس قد مالت بهم الأغراض والأهواء فكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في أيام حياته، حتى قام على المنبر خطيبا فقال: كثرت علي الكذابة، فمن كذب على معتمدا فليتبوأ مقعده من النار! لذلك أصبح والحال هذه لا يؤمن على أحد الخطأ في النقل والتغيير والتبديل، في الروايات والسير والأحاديث.
ولذلك قام رجال مقام الرقباء على من يكتبون ويؤلفون، فتراهم يمحصون في مؤلفاتهم ويبحثون في مقالاتهم، ولم يكن قصدهم إبداء معايب المؤلفين، والكشف عن عوراتهم معاذ الله، بل كان قصدهم المحافظة على الحقائق أن تغير وتبدل، والفضل أن يخفى ويستر.
وكان من جملة من وقف هذا الموقف الامام العلامة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي رحمه الله، فلقد وقف من كتاب الدكتور محمد حسين هيكل (حياة محمد) هذا الموقف، وترك لنا من بعده فصولا حول هذا الكتاب، وصلت الي مسودات، فقمت أخرج منها في كتابي الإسلام شيئا يسيرا تحت عنوان (حقائق تاريخية) فعمدت إلى

إخراجه من مسوداته، ورتبته كما يلي، ثم قدمته إلى إخواني المسلمين مقدما هذه الجملة بين أيديهم، ومن الله أستمد التوفيق.

هذا وإن كتاب (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل كتاب ذايع الصيت، تلقاه بعض أهل العلم بالقبول ومدحه مدحا كثيرا، وذكر هو في أوله أنه يريد به تمحيص السيرة وتحقيقها! فلينظر القارئ في ذلك الإطراء له، وهذا التمحيص والتحقيق، ثم ليحكم!

ونحن في عصر قد أتلعت الأمم أعناقها، واستشرفت تنظر في الدين الاسلامي، لترى ما فيه عن كثب.. فليتق الله الكاتبون والمؤلفون ولا يصنعوا كما صنعت الأمم السابقة (يحرفون الكلم عن مواضعه) وليعلموا أن وراءهم من يراقبهم ويحصي عليهم أغلاطهم! ونهيب بالقراء ألا يستسلموا لأحد، ولا يقبلوا رأيا إلا بعد التمحيص والتثبت. يا أيها الذين آمنوا إن جائكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

المهاجر العاملي حبيب آل إبراهيم

نقد كتاب حياة محمد (ص)
للدكتور محمد حسين هيكل
بقلم
العلامة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي
أمر بطبعه
المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ الصافي مد ظله

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين
نقد ما نسبه إلى الشيعة من القول بتحريف القرآن
قال الدكتور مترجما ذلك عن كتاب (حياة محمد) للسير وليم يوير، أحد المستشرقين ما لفظه:
(صحيح أن الشيعة ادعوا من بعد أنه أغفل بعض آيات تزكي عليا، لكن العقل لا يسوغ هذا الزعم. فلم يكن قد نجم أي خلاف بين الأمويين والعلويين حين أقر مصحف عثمان، بل كانت وحدة الاسلام قائمة حينذاك لا يهددها شيء. ثم إن عليا لم يكن قد صور مطالبه في صورتها الكاملة، فلم يكن غرض من الأغراض إذن ليدفع عثمان إلى ارتكاب إثم ينظر اليه المسلمون بعين المقت غاية المقت) إلى أن قال: (فمثل هذا الرغم كان ظاهر الفساد يؤمئذ، وإنما أبداه الشيعة من بعد لأغراضهم). انتهى. (صفحة ٣٥ - ٣٦ الطبعة الثانية)

(قال السيد عبد الحسين نور الدين العاملي):
أي شئ عمل الدكتور حين أقر لخصمه بصحة هذه النسبة؟! أليس قد أمكنه من مقاتله؟! أين ذهبت عنه فتنة السامية وذكاؤه المتوقد، وها هو وافق خصمه على الريب في سلامة القرآن من التحريف! إذ يقول له الخصم إن هؤلاء الشيعة وهم نصف المسلمين وتآليفهم في سائر فنون العلم تشهد بفضلهم وثقافتهم.. وهم يستقون علمهم من نبعة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين أجمع المسلمون على فضلهم ووجوب مودتهم.. فكيف يحصل الإيمان بعد هذا بأن ما هو بأيدي الناس هو المنزل من الله؟!
وأي قيمة بعد هذا لقوله في رد شبهة الخصم: (لكن العقل لا يسوغ مثل هذا الزعم، فلم يكن نجم خلاف بين الأمويين والعلويين)!
يظن الدكتور أن أعداء القرآن من المبشرين لم يقرؤوا تاريخ الإسلام، ولا يعرفون أن الخلاف قد نجم بين العلويين والأمويين قبل عقد الخلافة لعثمان.. ذلك لما اجتمع الستة الذين رشحهم عمر للخلافة بعد موته يتفاوضون فيمن ينتخبونه منهم... فقام علي عليه السلام يذكرهم بما له من الفضائل التي توجب انتخابه فأبوا عليه! وقام طلحة فقال نصيبي من هذا الأمر لعثمان! وقام الزبير فقال نصيبي منه لعلي! وقام سعد فقال نصيبي منه لعبد الرحمن! وقال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أيكما يطيب نفسا بإسقاط حقه، ونجعل له تعيين من شاء للخلافة؟ فأبيا عليه، فقال عبد الرحمن أنا أسقط حقي على أن تجعلا لي تعيين من شئت منكما!

أما عثمان فأنعم له بالجواب، لكن عليا أبى عليه إلا أن يعطيه الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة أن لا يحابي ذا قرابة (كان عبد الرحمن صهرا لعثمان على أخته) ولا يبتغي بعمله غير وجه الله تعالى... فأعطاه عبد الرحمن ذلك، ثم عقد مؤتمرا جمع فيه المهاجرين والأنصار والتابعين، فقام العلويون يصارحون برأيهم، قال قائلهم إن بويع علي سمعنا وأطعنا وإن بويع غيره سمعنا وعصينا! وقام الأمويون كذلك يقول قائلهم إن بويع عثمان سمعنا وأطعنا، وإن بويع غيره سمعنا وعصينا! وتساب الفريقان وكاد أن يكون بينهما شر! فصاح الناس من كل ناحية قائلين لعبد الرحمن أمض أمرك وأرح الناس، فقال عبد الرحمن لعلي عليه السلام: أمدد يدك فمد يده فقال: أبايعك على أن تعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال علي عليه السلام: تبايعني على أن أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ومبلغي من العلم. فأعاد عبد الرحمن ما قاله ثلاثا، وأعاد علي ما قاله ثلاثا، فنزع عبد الرحمن يده من يد علي، وقال لعثمان: مد يدك فمد يده، فقال: أبايعك على أن تعمل بكتاب الله وسنة نبيه وبسيرة أبي بكر وعمر، فأنعم له، فبايعه!

فكيف قلت: لم ينجم خلاف بعد؟! وأي خلاف أشد من أن يعلن كل واحد من الفريقين التمرد والعصيان على الخليفة الذي لا يوافقه؟! وهذا الخلاف يدل دلالة واضحة على أن عليا قد صور يؤمئذ مطالبه بصورتها الكاملة فأين قولك (ثم إن عليا لم يكن قد صور مطالبه بصورتها الكاملة)! وكأنك ترى قولك (فلم يكن غرض من الأغراض

إذن ليدفع عثمان إلى ارتكاب إثم ينظر اليه المسلمون بعين المقت غاية المقت) مقنعا لخصمك العنيد المجادل في تحريف القرآن؟!
وأين يقع قولك هذا منه إذا قام يملي عليك ما دونه التاريخ لعثمان من الأحاديث التي لم توجب مقتا فقط، بل أدت إلى حصره في عاصمة ملكه ودار سلطانه أربعين يوما ليخلع نفسه أو يقتل، فأبى ذلك حتى قتل بمرأى من المهاجرين والأنصار، وبمرأى من أهل بيته وكانت بيدهم القوة والسلطان، إذ كانوا العمال والولاة فلم يستطيعوا نصره لتلك الصيحة التي لحقته من الرعية، وكان لها دوي هائل في بلاد الاسلام!
ثم مضى الدكتور فيما هو بصدده قال: (فمثل هذا الزعم كان ظاهر الفساد يؤمئذ، وإنما أبدعه الشيعة من بعد لأغراضهم)!
ليقل الدكتور ما شاء، فقد نسب الينا أمثاله من القائلين بغير علم ما هو أفظع وأدهى! إنما يسوؤنا النيل من جلال القرآن وقداسته بجعله محلا للريب بهذه النسبة الباطلة، ليس عند أعداء الاسلام فقط، بل عند الكثير من المسلمين.
أين موقف الدكتور ونضاله في هذا المعترك من موقف ذلك العلامة الورع رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) ذلك السفر الثمين كيف تراه أزهق باطل هؤلاء المتمردين على جلال القرآن بهذه النسبة الباطلة، فقد أمات الشبهة وجلى الحق في الفصل الرابع من الجزء الثاني قال رحمه الله: (وأما الجواب عنه تحقيقا فإن القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل، ومن قال

منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم، قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الذي هو من أعظم علماء الامامية الاثني عشرية في رسالته الاعتقادية: (إعتقادنا في القرآن أنه القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس. ومن نسب الينا غيره فهو كاذب). انتهى.

وفي تفسير مجمع البيان الذي هو تفسير معتبر عند الشيعة ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجد أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي: إن القرآن كان على عهد رسول الله مجموعا مؤلفا على ما هو الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمن، حتى عرف جماعة من الصحابة بحفظهم، وأنه كان يعرض على النبي ويتلى عليه، وأن جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على عهد النبي عدة ختمات، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعا مرتبا، غير منشور ولا مبثوث.

وذكر أن من خالف من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن العلم المقطوع على صحته).

وقال السيد المرتضى أيضا: (إن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله، لأن القرآن معجز النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في

حفظه وعنايته الغابة، حتى عرفوا كل شئ فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد). انتهى.
وقال القاضي نور الله التستري الذي هو من علمائهم المشهورين في كتابه المسمى بمصائب النواصب: (ما نسب إلى الشيعة الامامية بوقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الامامية، إنما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم). انتهى.
وقال الملا صالح في شرح الكليني: (يظهر القرآن بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر).
وقال محمد بن الحسن الحر العاملي الذي هو من كبار المحدثين في الفرقة الامامية، في رسالة كتبها في رد بعض معاصريه وذكر كلامه بالفارسية, حاصله يرجع إلى ما قاله السيد المرتضى.. فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الامامية الاثني عشرية أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس). انتهى.
ومن هذا تعلم مبلغ الدكتور والأكابر من المثقفين في التمحيص، فما حال غيرهم؟!
أيليق في هذا السفر الثمين الذي يطالعه عشرات الألوف من المسلمين وغيرهم، أن يكون مشتملا على مثل هذه الأغلاط؟!
أن العلامة الورع رحمة الله الهندي اختصاصي في هذا الفن وكتابه (إظهار الحق) من جلائل كتب المسلمين، بل لم يكتب مثله في دحض

شبه المبشرين وافتراآتهم على جلال القرآن وقداسته، وهو كثير الانتشار لا تكاد تخلو منه مكتبة!
وطريف أن الدكتور لم يذكره من مصادر كتابه، فإن لم يسمع به أو لم يره فغريب! وإن كان ذلك زهدا به، فأغرب وأعجب.
فظهر بحمد الله بشهادة البررة المنصفين من علماء الجمهور، بطلان ما ينسب إلى الشيعة من القول العظيم في الذكر الحكيم. وما يوجد من الأحاديث في بعض كتب أصحابنا مما ظاهره ذلك ما نأباه ونرده وننكره أشد الإنكار، لما رويناه عن أئمتنا عليهم السلام مستفيضا في عرض ما روي عنهم على كتاب الله، فما واقفه قبل وما خالفه رد، وكل ما ورد عنهم مما ظاهره التحريف فهو مخالف لكتاب الله تعالى مجده، يقول سبحانه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وقال سبحانه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد). وعروض التحريف له ينافي حفظه، كما أنه باطل فلا يأتيه.
ثم إن ما ورد من الأحاديث في زيادة القرآن ونقصه، غير مختص بأحاديث الشيعة، بل مثله موجود في أحاديث الجمهور، بل في صحاحهم!! روى مسلم بن الحجاج في صحيحه في كتاب الزكاة
(باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا) بإسناده عن أبي الأسود قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمأة رجل قد قرأوا القرآن، قال أنتم خيار أهل البصرة وقراءؤها فاتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قلبكم،

وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها! غير أنى قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب!

وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات غير أني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيمة!!

وروى محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه في الجزء الثالث (سورة والليل إذا يغشى) بإسناده عن إبراهيم قال: قدم أصحاب أبي عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم وقال: أيكم يقرأ قراءة عبد الله بن مسعود؟ قالوا: كلنا، قال: فأيكم يحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعته يقرأ (والليل إذا يغشى) قال علقمة: والذكر والأنثى، قال: أشهد أني سمعت النبي يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ: وما خلق الذكر والأنثى، والله لا أتابعهم!!

وروى فيه عن عمر بن الخطاب أنه قال: إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها! رجم رسول الله ورجم بعده، فأخشى غن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضل بترك فريضة أنزلها الله)!! إلى قوله (ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم..!!

ما يقول حضرة الدكتور في هذه الأحاديث، وهذان الشيخان هما إماما محدثي الجمهور، وأحاديثهما من أصح الأحاديث عندهم، فلم لم ينسب القول بالتحريف إليهم وخص النسبة بالشيعة؟!!

إن ذمة التاريخ وأمانة النقل تأبى لمعاليه إلا أن يغسل هذه الفوهة بإعلان خطئه في هذه النسبة.

* *

نقد ما كتبه في إسلام علي عليه السلام
قال الدكتور:
(وعلم الله نبيه الصلاة فصلى وصلت خديجة معه، وكان يقيم معهما غير بناتهما علي بن أبي طالب الذي كان صبيا لم يبلغ الحلم، ذلك أن قريشا أصابتها أزمة شديدة، وكان أبو طالب كثير العيال، فقال محمد لعمه العباس وكان أكثر بني هاشم يسارا: إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله، آخذ من نبيه واحدا وتأخذ أنت واحدا فنكفلهما عنه، فكفل العباس جعفرا وكفل محمد عليا، فلم يزل في حجره حتى بعثه الله). (صفحة ١٧٢ من الطبعة الثانية)
نقول للدكتور:
كل من ذكر إسلام علي عليه السلام من أرباب السير، أكبر هذا التوفيق وهذه الصدفة مبتهجا بها.. قال ابن إسحاق:
وحدثني عبد الله بن نجيح عن مجاهد بن جبر بن حجاج قال: كان من نعمة الله سبحانه على علي بن أبي طالب وما صنع الله له من خير، أن قريشا أصابتها أزمة شديدة.. الخ..
وقال أبو جعفر الطبري عند هذه الحادثة (كان من نعمة الله سبحانه على علي أن قريشا أصابتها أزمة شديدة.. الخ. فهؤلاء ثلاثة (كذا في الأصل) من قدماء المحدثين ممن وقفنا على كلامهم يذكرون هذه الكفالة نعمة من الله سبحانه لعلي تهنئ

الكفالة نعمة من الله سبحانه لعلي تهنئة له، فهلا جريت على منهاجهم وقد قرأت كلامهم؟!

ما رأيك أصلحك الله في هذه الكفالة وهي قصارى الفخر، قال في بعض خطبه: (وقد تعلمون موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، يكنفني فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطيئة في فعل، ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ويعلمه محاسن أخلاق العالم ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلافه علما ويأمرني بالاقتداء به.

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد في الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة..). إلى آخر كلامه عليه السلام.

هذا بعض ما استفاده علي، فهل ترى أن أحدا نال من الصحابة مثلها؟ هيهات بعدت عليهم الغاية، وانقطعت بهم الطريق عن اللحاق بها، والدنو منها!

لو فكر اللبيب في هذا المربى والمعلم رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي حرصه على التعليم، وفي نفسية هذا التلميذ وانقطاعه إلى هذا المعلم ليله ونهاره من لدن كان طفلا، وفي حرصه على التعلم منه مدة حياته..

لم يسعه غير الانحناء له إكبارا وإعظاما، لما استفاده ووعاه من العلوم والأخلاق. وقد وفينا مقامه بعض حقه في كتابنا (الكلمات الثلاث).
ومن هذه اللازمة وهذا الانقطاع تعرف حقيقة قوله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وتعرف موقع كلام الدكتور من الحقيقة في إسلام علي مما ستسمعه! قال: (وفيما محمد وخديجة يصليان يوما، دخل علي مفاجأة فرآهما يركعان ويسجدان ويتلوان ما تيسر مما أوحاه الله يومئذ من القرآن، فوقف الشاب دهشا حتى أتما صلاتهما، ثم سأل: لمن تسجدان؟ فأجابه محمد قال: إنا نسجد لله الذي بعثني نبيا وأمرني أن أدعو الناس اليه.
ودعا محمد ابن عمه عليا إلى عبادة الله وحده لا شريك له والى دينه الذي بعث به نبيه والى إنكار الأصنام من أمثال اللات والعزى، وتلا محمد ما تيسر من القرآن فأخذ علي على نفسه وسحره جمال الآيات وإعجازها، واستمهل ابن عمه حتى يشاور أباه ثم قضى ليله مضطربا حتى إذا أصبح أعلن اليهما أنه اتبعهما من غير حاجة إلى أبي طالب).
ذكر الدكتور هنا أمرين متضادين: أولهما أن عليا عليه السلام لم يكن يوم بعث رسول الله قد بلغ الحلم، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد دعاه إلى الاسلام وتلا عليه ما أنزل من القرآن، وأنه تأثر بجمال الآيات وإعجازها، فدل بذلك على أن لرسول الله صلى الله عليه وآله سيرة خاصة مع علي عليه السلام لا تشبه سيرته مع الناس! فقد علمنا وعلم كل من قرأ سيرته (ص) في الدعوة إلى الله والايمان به، أنه لم يدع أحدا من شباب بني هاشم وساير قريش ممن لم يبلغ الحلم كما دعى

عليا! ولا يجوز القول بأن رسول الله دعاه على وجه التكلف أو المحاباة وهو يقول كما أخبر عنه الذكر الحكيم: (وما أنا من المتكلفين، إن أتبع إلا ما يوحى إلي)
فرسول الله صلى الله عليه وآله يعلم ما عند على من العقل والمعرفة التي تميزه عن أبناء جيله، وتحشره في زمرة العقلاء البالغين المفكرين، فإنه معلمه ومثقفه، فإذا هو قد امتاز عن كافة أهل زمانه بمواهبه التي أهلته وهو في ذلك للأخوة والوزارة والخلافة، وجعلته من نبي الله بمنزلة هارون من موسى، وقد طفحت بذلك كتب السنن.
وثانيهما: أنه استمهل رسول الله حين دعاه إلى الاسلام وترك عبادة الأوثان ليشاور أباه، وأنه قضى ليله مضطربا في صدق دعوته وصحة رسالته، أيجوز في أحكام العقول على مثل علي عليه السلام بعد ما سمعته، نسبة التوقف والتردد في إجابة رسول الله إلى ما دعاه اليه؟ والشك في صدق رسالته، وأن يقضي ليله مرتابا مترددا فيها، والبراهين على صحتها أجلى من أن يرتاب فيها مغفل، فضلا عن علي عليه السلام!
فنحن ننكر على الدكتور أشد الإنكار أن يكون أحد روى في إسلام علي شيئا من هذا، واتحداه أن يدلنا على من روى ذلك!
وليست الحوادث التاريخية بالأمور الخيالية يصورها المرء كما يشاء، إنما هي وقائع حقيقية حفظها الأمناء وأداها الثقات، فهم مصدرها وعنهم تؤخذ.. وغيرها لغو وأساطير!
* *

قال الدكتور:
(وكان أبو بكر صديقا صميما لمحمد (ص) يستريح اليه ويعرف به النزاهة والأمانة والصدق، لذلك كان أول من دعاه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، وأول من أفضى اليه بما رأى وبما أوحي اليه، ولم يتردد أبو بكر في إجابة محمد إلى دعوته في الايمان بها).
شاء الدكتور أن يثبت التفاضل بين إسلام علي وإسلام أبي بكر، فادعى أن الأول استمهل رسول الله حتى يشاور أباه، وبقي ليله مترددا! بخلاف الثاني فإنه لم يتردد في إجابة رسول الله (ص) إلى ما دعاه اليه!! ثم برهن على ما ادعاه لأبي بكر يقول (وأي نفس مفتوحة للحق تتردد في ترك عبادة الأوثان لعبادة الله وحده؟ وأي نفس فيها شئ من السمو ترضى عن عبادة الله عبادة حجر أيا كانت صورته؟
وظاهر كلام الدكتور أنه كلام صحيح ودعوى حق، لكن فيه تعريض بعلي بأن نفسه ما كانت مفتوحة للحق، ولا فيها شئ من السمو!! عجبا لسقطة الأديب وهفوة العالم، كيف تبدو بصورة منكرة مريبة، ترجف القلب وتنفر الطبع ويمجها السمع!
إن معالي الدكتور ليعلم أن نفس علي هي هذه النفس التي نشأت في حجر رسول الله (ص) وثقفها وغرس فيها من بذور الأخلاق السامية ما شاء، وأهلها للوزارة والخلافة من بعده!
إن هذه النفس هي نفس رسول الله (ص) بنص الذكر الحكيم: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم)!

إن هذه النفس هي التي نزلها رسول الله منه بمنزلة هارون من موسى، وقد رواه أئمتك والثقاة من مشايخك، الذين عنهم أخذت دينك.
إن هذه النفس هي التي اختارها (ص) من بين أصحابه لمؤاخاته يوم آخا بينهم!
وهي التي تطوعت له بالوزارة والنصر على الأمر الذي بعثه الله به، حين جمع عشيرته وأحجموا عما ندبهم اليه من المؤازرة!
وهي التي غامرت ليلة الهجرة بالمبيت على فراشه لتقيه سيوف الأعداء ولولا ذلك لما تهيأ لرسول الله الخلاص.
وهي التي غامرت يوم أحد فأنقذته من القتل بعدما فر عنه أصحابه! وكذلك يوم الأحزاب وخيبر وحنين، كما ستسمع!!
أهذا جزاؤه من أعاظم رجال المسلمين أمثالك؟!!
أين ما أخذته على نفسك من التمحيص والسعي ورواء الحقيقة؟!
لو أنك أعطيت الإنصاف والتأمل حقهما لبهرك جلال هذا الغلام وعظيم شأنه، حين تذكر في كتابك كيف يبلغه رسول الله رسالة ربه، ويتلو ما أنزل عليه من القرآن!
فهل بلغك أن رسول الله (ص) دعى أحدا من غلمان بني هاشم وغيرهم إلى ما دعى اليه عليا؟ وهل هذا إلا لما يعلمه (ص) من أن لهذا الغلام عقل الشيوخ ورأى ذي السن والتجربة، وأن له الميزة على ساير أبناء جيله بمواهبه؟ وما ذاك إلا فضل اختصه الله سبحانه به، وهو يختص بفضله من يشاء.

(قال الكوراني: لابد من القول إن دعوة النبي صلى الله عليه وآله لعلي كانت بأمر الله تعالى، وهو تكريم ذو دلالات عظيمة.. وكذلك قبول النبي لعلي في رجال بني هاشم عندما دعاهم النبي إلى الاسلام بعد نزول قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين، وطلب منهم شخصا يكون وزيره في هذا الأمر وخليفته، كما ترى في حديث الدار التالي).
* *

نقد ما كتبه في آية إنذار رسول الله (ص) عشيرته
قال الدكتور هيكل:
(بعد ثلاث سنين من حين البعث أمر الله رسوله (ص) أن يظهر ما خفي من أمره، وأن يصدع بما جاءه منه، ونزل الوحي: (أن أنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، وقل إني أنا النذير المبين، فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين). ودعا محمد عشيرته إلى طعام في بيته، وحاول أن يحدثهم داعيا إياهم إلى الله، فقطع عمه أبو لهب حديثه واستنفر القوم ليقوموا، ودعاهم محمد في الغداة كرة أخرى، فلما طعموا قال لهم: ما أعلم إنسانا من العرب جاء قومه
بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم اليه، فأيكم يوازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأعرضوا عنه وهموا بتركه، لكن عليا نهض وما يزال صبيا دون الحلم، وقال: أنا يا رسول الله عو نك، أنا حرب على من حاربت. فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم، وجعل نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ثم انصرفوا مستهزئين!). (صفحة ١٣٩ من الطبعة الثانية)
أقول: ذكرنا العبارة بطولها لما فيها من المآخذ الكثيرة...

وأول ما يؤخذ عليه: أن التاريخ أمور حسية وحوادث واقعة، وطريق معرفتها الرواية عن أهل الصدق والأمانة، فإذا دخلها الرأي ولخصها المؤرخ كما يشاء، ذهبت الأمانة وضل الطريق.

وثانيا: إن هذه الحادثة رويت مشتملة على معجزة لرسول الله (ص) ذكرها كل من تصدى لنقلها، لكن الدكتور يرى أن لا معجزة لرسول الله (ص) غير القرآن!! فهو يخالف بذلك ما عليه السلف الصالح من أئمة المسلمين، ومن أخذ عنهم دينه!

إن للدكتور رأيه في أن لا يؤمن بصدق راوي الحديث، فكان عليه أن لا يذكر هذه الحادثة، فإن الراوي لمجموعها واحد، وليس له أن يؤمن ببعض ويكفر ببعض!!

وثالثا: إن هذه الحادثة اشتملت على فضيلة خاصة لعلي عليه السلام فمسخها بنقله، ونحن نتحداه أن يدلنا على محدث واحد روى هذه الحادثة بنحو ما رواه!

إن التاريخ الصحيح وحفظته بالمرصاد.. وهذا ما رواه محمد بن جرير بإسناده قال: لما نزلت هذه الآية: وأنذر عشيرتك الأقربين... دعا رسول الله (ص) عليا فقال يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين، فضقت بذلك ذرعا، وعلمت أني إن أبادئهم بهذا الأمر أر منهم ما أكره، فصمت حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل يعذبك ربك، فاصنع لنا طعاما واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسا من لبن، ثم اجمع بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغ ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به فدعوتهم وهم يؤمئذ أربعون رجلا ينقصون رجلا أو يزيدونه، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا اليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به فقال عليه السلام: كلوا باسم الله، فأكلوا حتى مالهم إلى شئ من حاجة! وأيم الله الذي نفس علي بيده إن الرجل منهم ليأكل ما قدمته لجميعهم، ثم قال: إسق القوم يا علي، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله! فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال شد ما سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله!!

فقال في الغد: يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا اليوم إلى مثل ما صنعت بالأمس، ثم اجمعهم لي ففعلت، ثم دعا بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشئ من حاجة، ثم قال إسقهم، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه جميعا حتى رووا.. ثم تكلم رسول الله (ص) فقال:

يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم اليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

فأحجم القوم عنها جميعا وقلت أنا وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأخمشهم ساقا: أنا يا رسول الله (ص) أكون وزيرك عليه،

فأعاد القول فأمسكوا، وأعدت ما قلت، فأخذ برقبتي ثم قال لهم: (هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا)!
فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!!. انتهى.
ونظير ذلك ما رواه الامام أحمد وبقية المحدثين باختلاف يسير!
ومنه تعرف كيف يلخص الدكتور حوادث السيرة!
ولقد كان على الدكتور أن يقف عند هذه المفاوضة التي دعا لها بنو هاشم وقفة إعجاب، فإنها أجل مواقفه التي وقفها وأجلاها روعة وجمالا، مفاوضة تقرر مصير العالم وجعله عالما جديدا! وإن الفطن اللبيب ليقف لأول وهلة أمامها دهشا حيرانا، أينحني لعظمة هذا المفاوض وبطولته وما يريد من العظائم:
يريد امتلاك العالم والوقوف في وجه البشر!
يريد سد طريقهم التي ساروا عليها لأجيال وقرون!
يريد شق طريق جديدة لهم، على ما بها من كثرة المضائق ووعورة المسالك، لكنها تنتهي إلى الخير الدائم والسعادة الخالدة.
يريد إخضاع ملوك الأرض وإرغامهم لمشيئته.
يريد حمل الناس كافة على ترك مبادئهم وما ألفوه من عاداتهم ومعتقداتهم.

ثم يريد من هؤلاء المدعوين للمفاوضة من يتطوع له بالوزارة، ويشاطره حمل ما ينتابه من الصعاب في سبيل الله، على أن يكون له أقرب المنازل، من الأخوة والوصية والخلافة، جزاء المؤازرة.

وتلك هي سنة المرسلين أن الواحد منهم أول ما يهمه الوزير، ألا ترى حينما أرسل سبحانه نبيه موسى (ع) بقوله (إذهب إلى فرعون إنه طغى) كيف سأله الوزير بقوله (اجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي). لكن أشياخ عشيرته وسراتهم أحجموا على التطوع له بما طلب منهم، إحجام المتهيب للقيام بذلك، ومنهم الساخر بهذه الفكرة الشاذة بنظره! لكن هذه المفاوضة انتهت بانتخاب الوزير، وهو ذلك الغلام!!

ما أكبر هذا الغلام وأولاه بالإجلال والإعظام، حين يقوم بين أشياخ قومه وسراتهم مستخفا بأحلامهم مستنكرا لإحجامهم، قائلا: أنا أوازرك عليه، ثم يقبل النبي ذلك الشاب ويرتضيه لوزارته قائلا: هذا أخي ووصيي وخليفتي، فاسمعوا له وأطيعوا!!

شاب وغلام يقرران امتلاك العالم ويتعاقدان على مضاء هذه العزيمة! هذا ما لم يسبق له في الكون نظير، ولا حدث التاريخ بمثله.

وبماذا يبلغ ذلك الشاب هذه الغاية، ويقوى على تنفيد تلك الإرادة؟ أبجيشه اللجب، وهو ذلك الوحيد الذي لم يؤمن برسالته غير بضعة نفر؟! أم بخزائنه المعظمة، وهو ذلك الفقير المعوز؟! أم بأمته وهي تلك الأمة المستعبدة للفرس والروم؟! أو بوزيره وهو ذلك الغلام؟؟!

هذه الأسئلة هي التي تقف باللبيب وقفة الحيرة والارتياب، لكنها لا تلبث أن يجليها التفكير والإمعان بأن العظيم هو الذي يؤلف الجيش اللجب بخزائه، وهو الذي يملأ البيوت بالأموال، وهو الذي يخلق الحياة في نفوس أمته فيبعثها بعد موتها، ويرقى بها من حضيض الذل والاستصغار إلى ذروة العز والسلطان! وهو الذي يعرف النفوس العظيمة ومبلغهما من السموا إبان حداثتها فيصطفيها ويؤهلها لتسنم الرتب العالية مستعينا بها على نيل غايته..

لندع التحدث عن هذا الشاب رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ حقه مصون ومقامه محترم، لكنا نقف مع الدكتور دليلا على بلوغ نفس هذا الوزير أقصى غاية السمو والعظمة، وأنها المثل الأعلى للبطولة والرجولة لتطوعها لمشاطرة هذا العظيم حمل ما يواجهه من الأهوال والشدائد في تنفيذ هذه الإرادات!

إنني وأبيك لأستحيي لك أن يكون كتابك شاهدا عليك بالتحريف، والانحراف عن هذا العظيم، عليه السلام.

أين قيامك بالتنديد على المستشرقين والمبشرين من كتبة الغرب في تحريفهم سيرة رسول الله (ص) وتشويهها بمفترياتهم؟!

لكن هؤلاء إنما يدعوهم إلى ذلك الأحقاد القديمة والعداوة الموروثة، بخلافك فإنك والمسلمين كافة تدعون حب علي عليه السلام، وتذكرون مواقفه ومغامراته في نصرة الدين والدولة، وأنه أحد الخلفاء الراشدين!

وما يجدي التحريف والتمويه وهذه الكتب القيمة التي رواها الحفاظ والثقاة لا تزال غضة نضرة، تزهو بالحقايق لروادها!
ولو لم يكن إلا هذا الحديث الذي أجمع المسلمون على صحته وتواتره وهو (ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) وهل منزلة هارون إلا ما سأله موسى بقوله (واجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري)؟!
وكم أجهد الكثيرون من ملوك الاسلام أنفسهم فأعملوا السيف والقلم في الحط من مقامه والإخفاء لعظمته، خشية على سلطانهم، فلم يزده ذلك إلا سموا وظهورا!!
* *

نقد ما كتبه في المؤاخاة بين المسلمين

قال الدكتور:

(كان أكبر همه أن يصل بيثرب موطنه الجديد إلى وحدة ساسية ونظامية، لم تكن معروفة من قبل في سائر أنحاء الحجاز، وإن كانت قد عرفت إلى ما قبل ذلك بكثير ببلاد اليمن، فتشاور هو ووزيراه أبو بكر وعمر، فكذلك كان يسميهما)! (صفحه ٢١٨ من الطبعة الثانية)

إلى هنا ينتهي القارئ اللبيب فيقف منكرا متسائلا بما تشاور هو ووزيراه، وما هذا المشاورة وليس ثمة أمر يحتاج إلى المشاورة؟ إنما هناك فكرة سامية ألهمها الله لرسوله لا تقتضي مشاورة، فما معنى ذكر أبي بكر وعمر في هذا الموضع؟! وما هذا الثناء المقتضب والمدح المرتجل لهما بأنهما وزيراه؟ ومن أنكر على الدكتور ذلك حتى جاء يستدل عليه بقوله: (فكذلك كان يسميهما).

(كتب الشيخ المهاجر العاملي هنا: وجدت قد سقط من كلام السيد صفحتان، فتشت عليهما، وكتبت إلى بيت السيد في النبطية فلم يعثر عليهما، فتركت مقدارهما بياضا).

ثم يفكر الانسان في إقحام الدكتور هذا الثناء في هذا المقام، فيراه أجنبيا عنه! ولا يكاد يهتدي إلى الغاية من هذا الاقحام! لكني أنبؤك
ولا ينبؤك مثل خبير، أن الدكتور رأى أنه مقبل على ذكر فضيلة سامية لعلي عليه السلام تخفي بشعاعها فضل كل ذي فضل، وهي دعوة رسول الله (ص) أصحابه إلى التآخي في الله أخوين أخوين، ثم اختياره من بينهم عليا أخا لنفسه!! فشاء أن يحتفظ لهما بمقامهما ورونقهما لعلمه بأن قارئ كتابه سيقف عند هذه الفضيلة فيكبرها سائلا: لم لم تكن لأبي بكر أو عمر؟! فيكون ما أقحمه كجواب لهذا السائل بأنه إن فاتتهما هذه الفضيلة فلهما خير منها وهي الوزارة التي لا يساميها فضل!! وهذه (اللباقة) كثيرا ما يعول عليها معالي الدكتور ثم لاتعود عليه بفائدة!! قال:
(ولتحقيق هذه الغاية دعا المسلمين ليتآخوا في الله أخوين أخوين فكان هو وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان عمه حمزة ومولاه زيدا أخوين، وكان أبو بكر وزيد بن خارجه أخوين، وكان عمر بن الخطاب وعتبة بن مالك أخوين.. وتآخى كذلك كل واحد من المهاجرين).
لكن الدكتور بهذا الإقحام وهذه اللباقة زاد القارئ إشكالا وتحيرا، فإن العادي فضلا عن الفطن اللبيب، يعلم أن أخا رسول الله (ص) لابد أن يكون أفضل هؤلاء المتآخين جميعهم، ولا يؤمن بغير ذلك! فلو كان هذان وزيريه كما زعم الدكتور، فعليه أن يختار أحدهما أخا له، وهو الذي يوجبه المنطق، ويحكم به العقل السليم! فاختيار رسول الله

(ص) عليا أخا له دون حمزة وأبي بكر وعمر، مع قربهم منه سنا، برهان جلي على أنه أجل منهم شأنا وأرفع قدرا!

أنظر إلى الدكتور كيف مر بهذه الفضيلة لعلي مرور العجلان، مع أن ثروته الأدبية وثقافته العالية وفضله الجم ودعواه التمحيص، تلزمه بالوقوف عندها ريثما يقدر لها قدرها من الإجلال والإعظام، ويؤدي إليها حقها، وهيهات ذلك منه! وكأنه شاء بهذه المرور أن يموه على قارئ كتابه أن لا قيمة لهذا الإخاء!

سبحان الله.. إلى هذه الغاية تبلغ بالعظماء تقاليدهم الموروثة وعقايدهم المألوفة، فتأسر عقولهم الناضجة وأفكارهم السامية لحمايتها والذب عنها بالأقيسة الشعرية والبراهين الخطابية؟!

أين نعتهم للجمود وهيامهم بالحقائق؟!

وليته إذ لم يقف عندها، ذكرها بمثل ما ذكرها ابن إسحاق في سيرته التي يستوحي الدكتور كتابه منها؟ قال ابن إسحاق:

(وآخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقال فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي وقال: هذا أخي. فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين، ليس له خطير ولا نذير من العباد وعلي بن أبي طالب، أخوين، وحمزة أسد الله وأسد رسوله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين، وأبو بكر الصديق وخارجة بن زيد أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين). انتهى.

تأمل قول رسول الله (ص): تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذه بيد علي من بينهم وقوله: هذا أخي.
ما هذا الانتخاب ومن هذا المنتخب؟! سبحانك اللهم واهب الفضل، تختص بفضلك من تشاء.. عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه..
وانظر إلى ابن إسحاق ذلك المحدث الجليل كيف كنى عن تقريض علي (ع) بأنه لا نظير له من العباد بتقريض أخيه رسول الله، وإلا فرسول الله (ص) في غنى عن مدح ابن إسحاق، وإنما لم يصرح بمدح علي كما مدح حمزة وأبا بكر، لمكان المنصور العباسي ذلك الفطن الجبار، الذي أمره بتأليف السيرة وإهدائها له!
وروى ابن سعد في الطبقات أن النبي (ص) حين آخى بين أصحابه وضع يديه على منكب علي ثم قال: أنت أخي ترثني وأرثك!
وفي مسند الامام أحمد عن زيد بن أبي أوفى قال: (آخى رسول الله بين أصحابه فقال علي: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟ فقال: والذي بعثني بالحق نبيا ما أخرتك إلا لنفسي)!
وكل هذا من مصادر كتاب الدكتور! والأخبار بذلك مستفيضة، وكلها تدل على إكبار هذه المؤاخاة، وأن عليا جلى بها في ميادين الفضل وبذ أصحاب رسول الله كافة، وأعجزهم عن اللحاق به، فإطالة البحث بها إضاعة للوقت ومجلبة للضجر.. وهل ذلك إلا كرد البراهين على أن الشمس أضوأ من الكواكب؟! وقد أشبعنا المقام وأديناه

حقه في كتابنا (الكلمات الثلاث)، وما أجمل قول الصفي الحلي وأقطعه للخصم، من أبيات له يمدح بها أمير المؤمنين عليا عليه السلام:

كنت نفس النبي والصنو * وابن العم والأخ المستجادا

لو رأى غيرك النبي لآخا * ه.. وإلا.. فأخطأ الإنتقادا

وهذا الإخاء هو الذي كان له يوم جمع رسول الله عشيرته وقال أيكم يؤازرني على هذا الأمر فيكون أخي ووصيي وخليفتي؟ فأحجم الكل عن جوابه، وقام علي من بينهم وقال: أنا أكون وزيرك عليه. فقال صلى الله عليه وآله: هذا أخي وخليفتي ووصيي، وقد مر عليك لكنه المسك ما كررته يتضوع. وكأن الشاعر إنما عنى عليا عليه السلام بقوله:

إن أخاك الصدق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

كذلك كان علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله في كل حروبه ومغازيه، يفر أصحابه عنه ويقف معه جنبا لجنب واقيا له بنفسه!!

وسيتلى عليك الكثير من ذلك، مما شاء الدكتور أن يطمسه!

غلطه في غزوة بدر
قال الدكتور:
(فكان أمام المسلمين في مسيرهم رايتان سوداوان، وكانت إبلهم سعين بعيرا يعتقبونها كل اثنين منهم وكل ثلاثة وكل أربعة يعتقبون بعيرا، وكان حظ محمد (ص) في هذا كحظ ساير أصحابه فكان هو وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد العنوي يعتقبون بعيرا، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا).
أقول: لم يكن مرثدا يوم بدر يعتقب بعيرا وإنما كان على فرس يقال له السيل، ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات، وهي من مصادر كتاب الدكتور، وذكر فيها أن الذي كان يشارك رسول الله (ص) وعليا (ع) في تعقبه هو أبو لبابة ن لكن ابن هشام ذكر في سيرته أنه مرثد، والدكتور إنما يتبع ابن هشام ولا يتجاوز ما يقوله، ولا مأخذ عليه في ذلك. إنما يؤخذ عليه بتركه ما يقوله ابن هشام في تقريض علي، بل تركه كل ما يقوله المؤرخون في ذلك!! ذكر ابن سعد في الطبقات ما لفظه: (عن قتادة أن علي بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول الله (ص) يوم بدر، وفي كل مشهد).

وذكر ابن جرير في تاريخه الكبير ما لفظه: (كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا، وكان الأنصار مأتين وستة وثلاثين رجلا، وكان صاحب راية رسول الله (ص) علي بن أبي طالب، وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة).
وذكر ابن هشام ما لفظه: (وكان أمام رسول الله (ص) رايتان سوداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار).
نسأل الدكتور حين وضع سيرة ابن هشام بين يديه ينقل عنها غزوة بدر، حتى انتهى إلى قوله رايتان سوداوان، ما الذي منعه من إتمام أن الحامل لإحداهما علي بن أبي طالب؟! وما الذي يعتذر به عن ترك ذلك في كتابه؟!
ونسأله: لو أن ابن هشام روى أن الحامل لراية المهاجرين أبو بكر أو عمر، هل كان ينقص هذا من الرواية، أم يأتي بها على وجهها، أم يزيد فيها؟!
أهذا هو التفكير الجدي الذي وعدبه في تقديم كتابه صفحة (١٩) طبعة أولى، حيث قال: (جعلني أفكر تفكيرا جديا في تنفيذ ما اعتزمت من كتابة حياة محمد على الطريقة العلمية الحديثة، كتابة مفصلة، ودعاني للتفكير في مثل الوسائل لتمحيص السيرة تمحيصا علميا جهد ما أستطيع)!!
كأن التمحيص هو أن يكتب السيرة كما يشتهي، وعلى نحو ما يريد، فيثبت الفضل لمن يشاء وينفيه عمن يشاء، ويغتصب فضل من يشاء لمن يشاء!!

وإذا أباح لنفسه هذا النحو من العمل، فكيف انتقد المبشرين وأقام عليهم النكير، وكتابه مشحون بذلك، لا سيما تقديمه؟!
إن هؤلاء المبشرين إنما يزجهم في هذا المأزق ويهون عليهم احتمال النقد هو حقدهم المتأصل وعداوتهم القديمة، التي سببها ظهور الدين وظهور سلطانه على الشرق واكتساحه كل سلطان، وفرض الجزية على ملوكه وأمرائه ورعاياهم.. وهؤلاء المبشرون هم أحفاد أولئك الذين جرت عليهم هذه الأحكام، فما الظن بهم وقد اكتسحوا سلطان الاسلام وأعادوا سلطانهم، وملكوا الحول والقوة؟!
أتعجب لو عمدوا إلى سيرة النبي صلى الله عليه وآله فحرفوها، وأطلقوا العنان لخيالهم في مسخها وتشويهها..؟! وتلك سجية المغلوب إذا غلب، والمخصوم إذا فلج! تراه يستريح إلى تفنيد خصمه وتنقيصه، إلا من عصمه الله وقهر سلطان النفس وكبح جماع الهوى، وانفلت من قيد التقليد والعقيدة الموروثة، وأين هؤلاء؟ هم أقل من القليل!
إنما العجب لمن اعتنق دينا وتحلى بمظاهر تأمره وتحثه على تعظيم شخص بعينه، فإذا كتب سيرة العظماء وتاريخ حياتهم، عمد إلى ذلك الشخص فحذف ما دونه له التاريخ من الفضائل والمزايا، وعمل على إغفاله وإهماله؟!
وهل يلام المرء إلا إذا خالف فعله قوله، وظاهره باطنه؟!
إن هؤلاء المبشرين يصارحوننا بأن عقيدتهم في محمد صلى الله عليه وآله سيئة، وأن ما جاء به باطل... لكن الدكتور يأبى أشد الإباء أن

تكون عقيدته على خلاف ما عليه المسلمون من التعظيم والولاء لعلي عليه السلام، والمصريون رعاهم الله لم نزل نسمع منهم وعنهم التجمل والافتخار بحب أهل البيت وولائهم عليهم السلام!

إني وأيم الحق ليسوؤني أن أقف من معالي الدكتور هذا الموقف مع ما أسداه من الجميل إلى الاسلام في كثير من مباحث هذا الكتاب. ولو لم يكن الا ما كتبه في الغرانيق وزينب بنت جحش.. فلقد جلى في هذا المضمار وسبق الباحثين فيه سبقا بعبدا.. لكن سيرته مع علي عليه السلام في هذا الكتاب ذهبت برونقه وأخلقت جدته! أين ذهبت لباقته حين يذكر في كتابه بعض ما رواه ابن هشام في شأن الرايتين السوداوين وحذف بعضه، فهل ظن أن هذه السيرة لا يطالعها أحد؟! ولو أنه لم يعرض لذكر ما رواه ابن هشام في شأن الرايتين لتهيأ له ما أراد من إغفال فضل علي عليه السلام، ونجا مما أخذ عليه، لكنها كبوة الجواد وهفوة الحليم! (تركنا هنا فقرات تكرارية)

* *

تغافل الدكتور عما قاله أبو بكر وعمر في بدر!!
ذكر الدكتور في هذا الغزوة تبعا لابن إسحاق قال:
(استشار الناس وأخبرهم عما بلغه من أمر قريش، فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما، ثم قام المقداد بن عمر فقال: يا رسول الله، إمض لما أراك الله، فنحن معك. والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. وسكت الناس، فقال رسول الله: أشيروا علي أيها الناس.. إلى أن قال: فلما أحس الأنصار أنه يريدهم، وكان سعد بن معاذ صاحب رايتهم).
كان على الدكتور عند قوله في أول الغزوة وكانت أمام المسلمين رايتان سوداوان أن يقول إحداهما راية الأنصار بحملها سعد بن معاذ، لكنه يريد إغفال ذكر علي عليه السلام، فلو ذكر سعدا هناك وحده كان عرضة للوم، فأخره لهذه الغاية! وهي لباقة في الإغفال يمتاز بها الدكتور في كتابه هذا!! ثم قال: (قال سعد لقد آمنا بك وصدقناك)، ثم ذكر ما قاله سعد بطوله..
هنا يعجب المرأ للرواة كيف نسوا ما أدلى به أبو بكر وما أدلى به عمر في الرأي، فلم يذكروا فيه شيئا!!

وكيف حفظوا ما أدلى به المقداد بن عمرو، وما أدلى به سعد بن معاذ على طوله؟!
وهذا ما يدعو إلى سوء الظن بالراوي، وكأنه أنف أن لا يكون لهما في هذه المذاكرة رأي فألحق ذلك بالرواية!
اما ابن سعد فلم يأت على ذكر أبي بكر وعمر، ولئن كان ذلك كذلك فهي غفلة من الراوي وجهل بمقامهما ومقام غيرهما من المهاجرين، فإن سكوتهم عن جوابه لعلمهم بأنه (ص) إنما يريد بكلماته الأنصار دونهم، وهذا ما يقتضيه التمحيص وقد سهى عنه الدكتور!!
وبعد أن أجمل الغزوة وطوى ما كان فيها من جلائل الأعمال لأعاظم الرجال قال في تمجيدها:
(هذه غزوة بدر التي استقر بها الأمر للمسلمين من بعد في بلاد العرب جميعا والتي كانت مقدمة وحدة شبه الجزيرة في ظلال الاسلام، ومقدمة الامپراطورية الاسلامية مترامية الأطراف، التي أقرت في العالم حضارة ما تزال ذات أثر عميق في حياته).
سامح الله الدكتور ورعاه، فإذا كانت هذه الغزوة بتلك الصفة، ولها هذا الأثر، فيكون من أهم الفروض عليه أن يشيد بذكر أبطال هذه الغزوة الذين قامت على سواعدهم، ونجحت بمغامراتهم وصبرهم واستماتتهم، ويعرف الناس أسماءهم وأقدارهم، بما أوتيه من بيان ساحر وأسلوب رائع، مما لا يحسنه غيره.
ولو فعل ذلك لوفى بذمة التاريخ، وأدى التمحيص حقه، فإن هذا هو الذي يليق بالمؤرخ الباحث والمحصحص، ويعود على السامع بالخير

والفائدة.. وهل الغزوة أمر وهمي وصورة خيالية، حتى يكون الإطناب في إعظامها وذكر أبطالها جور في الرأي وانحراف عن القصد؟!
إن الدكتور ليعرف بطل هذه الغزوة وأنه علي بن أبي طالب، الذي بهر بعمله فيها العقول، وحير الألباب.
إن مغازي الواقدي وسيرة ابن هشام بين يدي الدكتور يكتب عنهما وقعة بدر، وقد أحصتا من قتل من قريش والقاتلين لهم، والتاريخ وحفظة السير وكل من كتب في التاريخ عيال عليهما.
ولقد وقف قبل وصفه الوقعة وقفة إعجاب بصدق إيمان المسلمين وعظيم محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله، وإيمانهم برسالته، وأطنب في ذلك، ثم ذكر في صفحة ٢٢٩ ما أمد الله به المسلمين من القوة ومضاعفة القوم، فجعل كل واحد منهم يعدل عشرة رجال، وأطال في ذلك ليريك أن المسلمين كلهم اشتركوا فيها!
ثم ذكر صحفة ٢٣١ قتل أمية بن خلف بتحريض بلال المسلمين على قتله، وأطنب في ذلك ثم قال: (وقتل معاذ بن عمرو بن الجموح أبا جهل بن هشام، وخاض حمزة وعلي وأبطال المسلمين وطيس المعركة، وقد نسي كل منهم نفسه، ونسي قلة أصحابه وكثرة عدوهم). الخ..
أجمل عمل الأبطال لئلا يعرف عمل علي عليه السلام من بينهم! واختصر الكلام في قتل أبي جهل، ولقد كان لقتله حديث طريف يليق بالذكر، ذلك لاشتماله على فضل لعلي عليه السلام!

روى الواقدي قال: لما كان يومئذ ورأت بنو مخزوم قتل من قتل قالت: أبو الحكم لا يخلص اليه! فإن ابني ربيعة عجلا وبطرا ولم تحام عنهما عشيرتهما، فاجتمعت بنو مخزوم فأحدقوا به فجعلوه في مثل الحرجة (الشجرة لا يوصل إليها لما حولها من الشجر الملتف) وأجمعوا أن يلبسوا لأمة أبي جهل رجلا منهم، فألبسوها عبد الله بن المنذر فصمد له علي فقتله وهو يراه أبا جهل، ومضى عنه وهو يقول: أنا ابن عبد المطلب!

ثم ألبسوها أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة، فصمد له حمزة وهو يراه أبا جهل فضربه فقتله، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب!

ثم ألبسوها حرملة بن عمرو فصمد له علي، فقتله!

ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلم فأبى أن يلبسها!!

قال معاذ بن عمرو بن الجموح: فنظرت يومئذ إلى أبي جهل في مثل الحرجة، وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه، فعرفت أنه هو، فقلت والله لأموتن دونه أو لأخلصن اليه)...

وكان على الدكتور أن يعرض لذكر المتمردين على الله ورسوله من أشياخ قريش وكيف قتلوا، تحفة للقارئ بما يشفي غيظه، لكن أكثر هؤلاء تولى قتلهم علي! فقد كان يعتمدهم بقتاله دون سائر قريش، فإنهم العاملون على إطفاء هذا الحق الذي طبق الأرض بنوره! منهم نوفل بن خويلد، وهو ابن العدوية، كان من شياطين قريش والمطاعين فيهم، وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة بن عبيد الله حين أسلما بحبل

وعذبهما، وكانا يسميان القرينين لذلك، ولما سمع رسول الله (ص) بحضوره بدرا قال: اللهم اكفني ابن العدوية، وكان لصوته زجل يوم بدر، رافعا عقيرته: يا معشر قريش هذا يوم العلاء والرفعة!
ولما انجلت الوقعة قال رسول الله (ص): من له علم بابن العدوية، فقال علي عليه السلام: أنا قتلته، فكبر رسول الله وحمد الله أن استجاب فيه دعوته!
رآه علي يوم بدر فصمد له، فقال نوفل لرجل إلى جنبه: من هذا الذي كأنه يريدني؟ فقال: هذا علي بن أبي طالب. فقال: تالله ما رأيت كاليوم رجلا أسرع في قومه منه! فحمل عليه علي وضربه على ساقيه وإن درعه مشموم فيراها، فسأله بالرحم، فقال علي: كل رحم مقطوعة إلا من كان متبعا لرسول الله، ثم أجهز عليه!
روى ذلك الواقدي، وابن إسحاق.
ومنهم العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، وكان من صناديد قريش. رأى عمر بن الخطاب (ابنه) سعيد بن العاص وقال له: مالي أراك معرضا أتظن أني قتلت أباك؟ ولوددت أني قتلته ولا أعتذر إلى الله من قتل مشرك، لكني بصرت به وهو يبحث للقتال كما يبحث الثور، والزبد يرغو على شدقيه فناداني هلم الي يا بن الخطاب، فحدت عنه، وصمد له علي فقتله! وفي رواية غير ابن إسحاق والواقدي: (وكان علي جالسا فقال: اللهم غفرا، ذهب الشرك بما فيه، ومحى الاسلام ما

قبله! فعلى م تهاج القلوب؟! فسكت عمر؟! فقال سعيد: ما وددت أن قتل أبي غير ابن عمي!
ومن صناديد قريش طعمية بن عدي، لقيه علي عليه السلام فشجره بالرمح، وكان مقنعا بالحديد وقال له: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبدا!
ولابد لنا من الوقوف مع الدكتور عند هذه الوقعة (بدر) وقفة تمحيص وبحث عن أبطالها، ومالهم من الأعمال فيها مما حفظه التاريخ، وعندها يسهل على طلاب الحقيقة ورجال الإنصاف الحكم بما يستحقه كل واحد من التبجيل والإطراء، فإن أعمالهم فيها هي أساس الإمبراطورية الاسلامية وقاعدة الحضارة والمدينة العالية، ولا حاجة بنا إلى بيان فضل ذلك المعلم الواقف على بناء ذلك الأساس بجمعه لأولئك العملة، وزرعه في نفوسهم حب التضحية والمغامرة في سبيل الحق، وتعذيته بالايمان والعقيدة، وتثقيفهم بما أوتيه من قوة.
إنما نحتاج إلى بيان فضل أولئك العملة لهذا الأساس، فقد جهله الكثير ممن لا معرفة لهم بتاريخ الاسلام، واختلط عليهم الأمر، فلنذكر من قتل في هذه الوقعة من قريش والقاتلين لهم، كما رواه الأئمة والحفظة، وبهذا ينجلي الصبح لذي عينين:
المقتول القاتل
حنظلة بن أبي سفيان = علي بن أبي طالب.
الحارث بن الحضرمي = عمار بن ياسر

عامر بن الحضرمي = عاصم بن ثابت
عمير بن أبي عمير = سالم مولى أبي حذيفة
عبيدة بن سعيد بن العاص = الزبير بن العوام
العاص بن سعيد بن العاص = علي بن أبي طالب.
عقبة بن أبي معيط = عاصم بن ثابت وقيل علي بن أبي طالب.
عتبة بن ربيعة = حمزة بن عبد المطلب.
شيبة بن ربيعة = علي بن أبي طالب.
عامر بن عبد الله بن أنمار = علي بن أبي طالب.
الحارث بن نوفل = خبيب بن يساق.
طعمية بن عدي = علي بن أبي طالب.
زمعة بن الأسود = أبو دجانة الأنصاري.
حارث بن زمعة = علي بن أبي طالب.
عقيل بن الأسود = علي بن أبي طالب.
عبد اللات بن المنذر = علي بن أبي طالب.
حرملة بن عمر = علي بن أبي طالب.
أبو البختري = المجدر
نوفل بن خويلد بن العدوية = علي بن أبي طالب.
زيد بن مقلص = علي بن أبي طالب.
عمير بن عثمان = علي بن أبي طالب.
عثمان بن عثمان = صهيب

أبو جهل = معاذ بن عمر وعبد الله بن مسعود
العاص بن هاشم = عمر بن زيد
حليف لهم = عمار، وقيل علي بن أبي طالب.
أبو قيس بن الوليد = علي بن أبي طالب.
أبو قيس بن الفاكه = حمزة، وقيل علي، وقيل عمار
مسعود بن أبي أمية = علي بن أبي طالب.
أمية بن عائذ = سعد بن الربيع.
أبو المنذر بن رفاعة = معن بن عدي.
عبد الله بن أبي رفاعة = علي بن أبي طالب.
زهير بن أبي زمعة = أبو أسيد.
السائبية بن أبي رفاعة = عبد الرحمن بن عوف.
السائب بن مسائب = الزبير بن العوام.
الأسود بن عبد الله الأسدي = حمزة بن عبد المطلب.
عمر بن شيبان = يزيد بن قيس.
جابر بن سفيان = أبو بردة بن نيار.
حاجز بن السائب = علي بن أبي طالب.
عويمر بن عمر = علي بن أبي طالب. قاله البلاذري
أمية بن خلف = خبيب بن يساف
معاوية بن عبد القيس = عكاشة
على بن أمية = عمار بن ياسر
أوس بن المغيرة = علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون.

هؤلاء الذين ذكرهم الأئمة والحفظة من المؤرخين بالبلاء في هذه الوقعة، من بين كافة أصحاب رسول الله، فهم أبطال هذه الغزوة، فقس عمل علي وبلائه إلى أعمالهم تره يكاد يساوي عمل جميعهم! وتذكر من بينهم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وماله في نفوس قريش من البطولة، ثم قس عمله بعمل علي عليه السلام كيف تراه يخفى في جنبه! وتذكر أن عليا كان أحدث أولئك الأبطال سنا، وأنه لم يكن لقي قبل هذه الوقعة حربا ولا بارز قرنا..

لترى الإعجاب يذهب بك كل مذهب، ويبهرك جلاله وعظمته، وما ذاك إلا لعظيم إيمانه وشديد حرصه على إحياء هذا الدين، وهذه الدولة التي بعث صلى الله عليه وآله بهما، ويقينه بأن هؤلاء الطواغيت الذين ضمتهم بدر هم العاملون على هدمهما وإماتتها، وأنه باستئصالهم يتم لرسول الله صلى الله عليه وآله ما أرسل به من هداية البشر وإسعادهم.. فكانت له هذه الضراوة وهذا الاستئصال!

ويزيدك وضوحا ما قاله نوفل بن العدوية وقد رأى عليا عليه السلام يصمد له: تالله ما رأيت كاليوم رجلا أسرع في قومه منه!!

ومن هنا تعرف فعل السياسة ومبلغه من التضليل وإخفاء الحقيقة! وكيف كان ملوك المسلمين وخلفاؤهم في سيرتهم مع هذا العظيم!

فلو أن الدكتور بحث في هذه الغزوة بحث تمحيص، لأدى إلى كل ذي حق حقه، ولم يبخس منه شيئا.. أما وهو يجمل الأعمال فيها أجملا، فليس ذلك من التمحيص في شئ.

(قال الكوراني: الظاهر أن قول الدكتور هيكل: (استشار الناس وأخبرهم عما بلغه من أمر قريش، فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما، ثم قام المقداد..) هو من التستر على أبي بكر وعمر، وليس من حشر ذكرهما بلا موجب كما تصور السيد نور الدين رحمه الله..
فقد روى المحدثون أنهما قالا كلاما فأعرض النبي عنهما! ففي مسند أحمد: ٣ / ٢٢٠، ودلائل النبوة للبيهقي: ٣ /: ٤٧: (عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث بلغه إقبال أبي سفيان قام فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه...!!). ولا بد أن يكون كلامهما سلبيا يدعو إلى عدم مواجهة قريش! كالذي نقلوه عن أبي بكر من قوله في أسرى بدر (يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية..!!) (سنن البيهقي: ٦ / ٣٢٠، وغيره)!
فعمل الدكتور هيكل هنا، أنه حذف الإشارة إلى موقف أبي بكر وعمر السلبي من المعركة الذي أغضب النبي فأعرض عنهما!! وأنه دلس رأيهما وزوقه!).
* *

نقد مبالغته في مدح عمر بن الخطاب!
ذكر الدكتور في صحفة ١٢١ من الطبعة الأولى، إسلام عمر بن الخطاب، ثم وصفه بالأيد والقوة، قال: (وكان مفتول الفصل فوى الشكيمة حاد الطبع ثم وصفه بمنتهى الجرأة والبسالة)
وقال في صفحة ١٢٢: (فوجد المسلمون فيه وفي حمزة للاسلام منعة، وللمسلمين حمى، وفت إسلام عمر في عضد قريش، فأتمرت مرة أخرى ما تصنع؟ والحق أن هذا الحادث عزز المسلمين بنصر جديد، قوي غاية القوة)!!
ثم أطنب الدكتور في وصف العز والقوة التي لحقت المسلمين بإسلامه قال صحفة ١٢٠، في سبب عود المسلمين من الحبشة: (إن عمر بن الخطاب أسلم بعد هجرتهم بقليل، وقد دخل عمر في دين الله بالحمية التي كان يحاربه من قبل بها، ولم يخف إسلامه ولم يستتر، بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاتلهم في سبيله، ولم يرض عن استخفاء المسلمين وتسللهم في شعاب مكة يقيمون الصلاة فيها بعيدين عن أذى قريش، بل دأب هو في نضال قريش حتى صلى عند الكعبة وصلى المسلمون معه)!!!
ثم أعاد الدكتور هذا الكلام صحفه ١٣٢ فقال: (وهذا لعمر الحق الغاية في البسالة والجرأة! رجل واحد يفت إسلامه في عضد قريش ويقاتلهم في دار عزهم ومنعتهم، وهم أولئك الصناديد! هذا ما لم يسمع بمثله)!!
وهنا نسأل الدكتور سؤال مستفهم طالب للحقيقة:

إن من يقاتل قريشا في دار عزهم وحده وعندهم القوة ولا قوة عند المسلمين، ماذا يكون عمله وقد خلا بقريش كيوم بدر إذ جاءت معلنة الحرب على رسول الله صلى الله
عليه وآله، ومعه ما يزيد على ثلاث مئة مسلم كلهم مستميتون في الذب عن رسول الله والنصرة لدعوته؟ وما الذي ينتظر منه؟
ينتظر منه أن يعمل الأعاجيب!
ينتظر منه أن يكون بطل الغزوة، وهذا ما لا ريب فيه!
فكيف لم يذكر الدكتور له فيها عملا واحدا؟!
وحيث قال صحفة ٢٣١: (وخاض حمزه وعلي وأبطال المسلمين وطيس المعركة، وقد نسي كل منهم نفسه، ونسي قلة أصحابه وكثرة عدوه).
كيف لم يذكره مع حمزة وعلي؟!!
ولقد أحصى التاريخ أبطال هذه الغزوة، فلم نر له معهم ذكرا!!
ذلك ما يقف بالممحص اللبيب موقف الحيرة!
ما أحوج السيرة إلى البحث والتمحيص!!

نقد ما كتبه في غزوة أحد
بعد أن ذكر الدكتور صفحة ٢٥٦، ما أعدته قريش وحشدته بهذه الغزوة، وما أعده رسول الله (ص) وما استشار به أصحابه من الخروج لقريش أو الإعتصام بالمدينة واختلافهم في الرأي، ثم تصميمه على الإصحار لعدوه، ثم ذكر دخوله (ص) بيته ودخول أبي بكر وعمر معه وأنهما عمماه وألبساه درعه!
ثم ذكر انخذال عبد الله بن أبي المنافق بثلاثمأة ورجوعه عن رسول الله (ص) إلى المدينة.. قال صحفه ٢٥٨:
(وبقي النبي ومعه المؤمنون حقا، وعدتهم سبعمائة ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشي من أهل مكة كلهم موتور منه يوم بدر، وكلهم على ثاره حريص).
ثم قال صفحة ٢٢٢ في وصف عسكر النبي (ص) مرة ثانية: (أما المؤمنون حقا وكان عددهم لا يزيد على السبعمأته، يقاتلون ثلاثة آلاف، فقد رأيت من فعال حمزة وأبي دجانة ما يصور لك صورة من قوتهم المعنوية).
وقد كان ذكر من مواقف حمزة وأبي دجانة ما يدل على منتهى الشجاعة، فمعنى ذلك كل واحد من أولئك السبعمائة كان في إيمانه وبسالته مثل حمزة وأبي دجانة!!

ولو أن الدكتور تلا ما أنزل الله من الذكر الحكيم في وقعة أحد بتدبر وطالع ما ذكر حفاظ السير والتاريخ فيها.. لم يتورط في هذه المغالاة في الوصف!! ونحن نتمنى أن يكون ذلك الجيش كما وصفه الدكتور لكن الواقع بخلافه! فقد كان فيه مؤمنون حقا، وفيه ضعاف الايمان، وفيه منافقون! ولقد نزل في وقعة أحد ستون آية، تدل على نفسية ذلك الجيش وما عندهم من الإيمان والشك والنفاق، وأن الله ابتلاهم ليمحصهم، ويظهر سرائرهم، ولم ينزل في غزوة من غزواته (ص) من الذكر الحكيم ما نزل في هذه الغزوة! فكان على الدكتور أن يعرفنا أبطال هذه الغزوة، ويمحصهم على ضوء هذه الآيات المنزلة في هذه الوقعة فإنها من أعظم الوقائع بلاء واختبارا..

فمن الآيات قوله سبحانه:

(إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين).

ثم قرع سبحانه الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج من المدينة لحرب المشركين لعلهم ينالون الشهادة: (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون)!

أي ففررتم منه! فأين تمنيكم له؟!

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟! ومن ينقلب على عقيبه فلن يضر الله شيئا)!
وهذا توبيخ لمن فر واعتصم بالجيل حين سمع الصيحة أن رسول الله (ص) قد قتل!
مر أنس بن النضر عم أنس بن مالك بجماعة من أكابر الصحابة فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله (ص) قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه! ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل بعد ما أصيب بسبعين جرحا.
(وسيجزى الله الشاكرين) قال أنس فإنهم هم المؤمنون حقا.
(ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه) تستأصلونهم بالسيف.
(حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم) في عدوكم (ما تحبون) من فراره أمام قوتكم وقهركم له واستيلاؤكم على الدولة، فكان عليكم والحال هذه أن يقوى إيمانكم ويقينكم بربكم، وتقابلوا نعمته بالشكر مطيعين نبيه إذ أمركم أن لا تبرحوا مكانكم ولا ترجعوا عن قتال عدوكم!
ولكن كان (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين لم يحضروا الوقعة إلا طلبا للغنيمة، وهؤلاء لما فر المشركون وتركوا أقبلوا على حيازة المغانم، فرآهم من يريد الدنيا من الرماة الذين وضعوا لحماية ظهور المسلمين، فأقبلوا على حيازة المغانم وأخلوا ظهور المسلمين للعدو، فكانت الطامة! (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الذين لم يحضروا الوقعة إلا لنصر الحق

وإزهاق الباطل، وهؤلاء ثبتوا في مراكزهم ووقفوا في وجه عدوهم، واشتاقوا لنصرة دين الله ولحماية لرسوله (ص) فقتل منهم من قتل ونجا من نجا، وخلص النبي (ص) من القتل بمحاماتهم!

فهل هؤلاء ومن أراد الدنيا سواء؟!!

وهل كلهم مؤمنون حقا كما يزعم الدكتور؟!!

(إذ تصعدون ولا تلوون على أحد) لضعف قلوبكم وعجزها عن مقاومة الصدمة التي صدمكم بها العدو.

(والرسول يدعوكم في أخراكم) فلم تستجيبوا له وأسلمتموه لعدوه!

(ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم) وهم المؤمنون الذين كان فرارهم بعدما اشتد الكرب وعظم البلاء، إذ لم يكن عندهم من قوي الايمان وعظيمه ما يقابلون به تلك الأهوال والشدائد.

(وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر شئ؟ قل إن الأمر كله لله، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يقولون لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا هاهنا)!! أفهؤلاء المؤمنون حقا؟!!

(قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليهم بذات الصدور) لكنه شاء سبحانه أن يظهر لنبيه وللمؤمنين بواطنكم التي تخالف ظواهر ما تدعونه من الإيمان بالله ورسوله.

(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) وهم الذين تغشاهم النعاس (إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم) حين علم ما لحقهم من الندم على ما فرط منهم (إن الله غفور حليم).
(وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا)... إلى آخر الآيات، وفيها تبصرة وبرهان لأولي الألباب والأبدان...
ولا بد أن يكون الدكتور قبل كتابة ما كتب قد راجع سيرة ابن هشام ومغازي الواقدي، وهذا لفظ السيرة: (فأنزل الله العناس أمنة منه على أهل اليقين فهم نيام لا يخافون، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) خوف القتل وذلك أنهم لا يرجون العاقبة.
ولفظ المغازي: (قال الزبير بن العوام: غشينا العناس فما منا رجل إلا وذقته في صدره من النوم، فأسمع معتب بن قشر وكان من المنافقين يقول وإني لكالحالم: لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا هاهنا، فأنزل فيه ذلك. وقال أبو اليسر: لقد رأيتني ذلك اليوم في رجال من قومي إلى جنب رسول الله (ص) وقد أنزل علينا النعاس أمنة منه، ما منهم رجل إلا يغط غطيطا حتى أن الجحف لتناطح! ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر به حتى أخذه بعدما تثلم وإن المشركين لتحتنا، وسقط سيف أبي طلحة أيضا، ولم يصب أهل الشك والنفاق نعاس، وإنما أصاب النعاس أهل الإيمان واليقين، فكان المنافقون يتكلم كل منهم بما في نفسه، والمؤمنون ناعسون)!

والعجب أن الدكتور ذكر من حالة الرماة صفحه ٢٦٣ ما ينافي الوصف الذي وصفهم به، وكأنه أراد رفع التنافي بين وصفه وما وقع منه، بقوله: (والمسلمون ما يزالون نسوا إيمانهم ونسوا الوطن، ولم يبق أمامهم إلا هذه المغانم يعبون منها).
أقول: كأن الدكتور على سعة فضله ورسوخه في الفلسفة قد نسي فضله وفلسفته حتى يقول (نسوا إيمانهم)!
ليث شعري كيف ينسى الإيمان؟! أليس هو العلم واليقين الجازم؟! أنؤمن بالله ورسوله حق الإيمان، ثم ننسى إيماننا فنقتل النبي (ص) ونعمل من المعاصي ما يخرجنا إلى الكفر؟!!
وأطرف من هذا، أننا لا نؤاخذ! إذ من الضرورة أن الناسي لا يؤاخذ بعمله!
أنؤمن بأن النار محرقة، ثم ننسى إيماننا ونلقي أنفسنا فيها؟!!
يعز علي أن ينسب إلى معالي الدكتور مثل هذا الرأي ويناقش فيه.
وما الذي دفعه إلى الحكم بأن هذا العدد من المسلمين كلهم مؤمنون حقا، حتى اضطر عند فعلهم ما ينافي الإيمان الحق إلى القول بأنهم نسوا إيمانهم، مع أن الله سبحانه أظهر له سريرتهم بأن منهم من يريد الدنيا، أي الغنيمة والكسب، وهي قصارى قصدهم! فلما رأوها ميسورة أقبلوا عليها، ولم يكن أمر الدين من همهم!!
ومنهم من يريد الآخرة، وهم المؤمنون حقا.

لكنه رعاه الله بسعة خياله وقوة بيانه ووفور أدبه، شاء البروز بهذا الفن، فجاء يخرج لنا التاريخ صورا رائعة هي بالخيال أشبه منها بالحقيقة! وهذا شئ، والتمحيص شئ.
ذكر في صحفة ٢٦٠، تحريش أبي عامر الفاسق بين الجيشين، ثم قال: (هنالك صاح حمزة بن عبد المطلب صيحة القتال يوم أحد: أمت أمت، واندفع إلى قلب جيش قريش، فلقيه طلحة بن أبي طلحة حامل لواء أهل مكة، فضربه حمزة بالسيف على يده اليمنى...) إلى أن قال: (واندفع أبو دجانة وفي يده سيف النبي (ص) وعلى رأسه عصابة الموت، فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله، حتى شق صفوف المشركين).
لم يذكر الدكتور من أبطال هذه الغزوة غير حمزة وأبي دجانة! ثم ذكر بعض هؤلاء في آخر الوقعة!
فعل ذلك ليدلل على أن هذين هما بطلا الغزوة، وأن غيرهما ليس في مرتبتهما ليذكر معهما، قاصدا الحط من قدر علي عليه السلام وبطولته! وقد ذكره في آخر الوقعة، وهذا فنة الذي يجيده في الإغفال غاية الإجادة! وليته قنع بهذا المقدار فلم ينسب ما عمله علي عليه السلام يوم أحد إلى عمه حمزة!
وحمزة أسد الله وأسد رسوله في غنى عن عمل غيره.. والدكتور وإن كان في تصويره وتنميقه مبتدعا وله أن يقول ما يشاء، لكن عليه في نقل الحوادث أن يكون متبعا لأئمة السير وحفظة التاريخ، أداء لحق الأمانة وعملا بقانون النزاهة، فإن قيمة المؤرخ تحرير الحقيقة في نقد الحوادث، أما التأنق في اللفظ والتصوير، فهو من عوارض التاريخ ومحسناته.

لابد أن يكون الدكتور قبل كتابة هذه الغزوة قد طالع سيرة ابن هشام ومغازي الواقدي وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري، فإنهم المرجع في هذا الفن، وهؤلاء يذكرون أن طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء قريش الذين زعم الدكتور أنه قتيل حمزة، قتله علي عليه السلام!

ففي السيرة قال ابن إسحاق:

(وقتل من المشركين يوم أحد من قريش ثم من بني عبد الدار بن قصي من أصحاب اللواء طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، قتله علي بن أبي طالب).

وفي الطبقات قال:

(ووفى القوم بعضهم من بعض، والرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، فتولى هوازن فصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء: من يبارز؟

فبرز له علي بن أبي طالب، فالتقيا بين الصفين فبدره علي فضربه على رأسه حتى فلق هامته فوقع، وهو كبش الكتيبة (أي سيدهم وقائدهم) فسر رسول الله (ص) بذلك وأظهر التكبير، وكبر المسلمون وشدوا على كتائب المشركين يضربونهم حتى نقصت) (أي اضطربت صفوفهم).

وفي الطبقات:

(رأى رسول الله (ص) تلك الليلة كأنه في درع حصينة، وكأن سيفه ذا الفقار قد انفصم من ظبته، وكأن بقرات ذبحت، وكأنه مردف كبشا، فأخبر بها أصحابه، وأولها فقال: أما الدرع الحصينة فالمدينة، وأما انفصام سيفي فمصيبة في نفسي، وأما البقر المذبح فقتل في أصحابي، وأما مردف كبشا فكبش الكتيبة، يقتله الله إن شاء الله. ولهذا لما قتل علي طلحة بن أبي طلحة سر، وكبر تكبيرا ظاهرا).

وقال الواقدي:
(وبرز طلحة بن أبي طلحة فصاح من يبارز؟ فقال علي: هل لك في مبارزتي؟ قال: نعم، فبرزا بين الصفين ورسول الله (ص) جالس تحت الراية، عليه درعان ومغفر وبيضة، فالتقيا فبدره علي بضربة على رأسه فمضى السيف حتى فلق هامته، إلى أن انتهى إلى لحيته! فوقع.
فلما قتل طلحة سر رسول الله (ص) وكبر تكبيرا عاليا وكبر المسلمون، ثم شد أصحاب رسول الله (ص) على كتائب المشركين فجعلوا يضربون وجوههم، حتى انتقضت صفوفهم، ولم يقتل إلا طلحة بن أبي طلحة وحده).
وفي تاريخ الطبري:
(ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معاشر أصحاب محمد (ص) إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بأسيافكم إلى النار، ويعجلكم بأسيافنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقام اليه علي بن أبي طالب فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار أو تعجلني بسيفك إلى الجنة! فضربه علي فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته، فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم، فتركه فكبر رسول الله (ص). ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين).
هذه أقوال الأئمة، لا يختلفون في أن قاتل طلحة هو علي عليه السلام!
وليت الدكتور اكتفى بهذا الإغتصاب، فلقد اغتصب أيضا قتيلا آخر لعلي عليه السلام ونسبه إلى حمزة، قال في صفحة ٢٦١:
(كان حمزة بن عبد المطلب من أعظم أبطال العرب وشجعانهم، وكان قد قتل يوم بدر عتبة أبا هند، كما قتل أخاها، ونكل بكثير من الأعزة عليها).

أقول أخو هند هو الوليد بن عتبة، وأهل السبر متفقون على أن قاتله علي عليه السلام، ومنهم الدكتور! ذكر صفحة ٢٢٩ من غزوة بدر، عند طلب شيبة وعتبة والوليد البزاز قال: (وخرج حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث، ولم يمهل حمزة شيبة، ولا أمهل علي الوليد أن قتلاهما، ثم أعانا عبيدة، وقد ثبت له عتبة).
فهناك في غزوة بدر ذكر أن حمزة قتل شيبة عم هند، واشترك هو وعلي في قتل عتبة أبي هند، واختص علي بقتل الوليد أخ هند، فهل نسي ما ذكره في غزوة بدر، أم شاء هنا أن يكون كالمعتذر لفعل هند أم معاوية بحمزة؟! ذلك الفعل الذي لم يحدث التاريخ بمثله عن الأجيال فظاعة ووحشية؟! كأنه يقول إن من قتل أباها وأخاها ونكل بكثير من الأعزة عليها، لا تلام على تمثيلها به!
لكنه خلاف الواقع فإن قاتل أخيها علي عليه السلام، وحمزة إنما قتل عمها، وشارك عليا في قتل أبيها.
وكذلك قوله (ونكل بكثير من الأعزة عليها)! فقد سبرنا قتلى بدر وأحد في سيرة ابن هشام ومغازي الواقدي، فلم نر لحمزة قتيلا من بني عبد شمس قوم هند وعشيرتها غير هؤلاء! على أن أباها وعمها وأخاها هم الذين اعتدوا وسارعوا لقطع الرحم، وكانوا أول من طلب البراز ليفخروا بذلك، فبرز لهم نفر من الأنصار فارتفعوا بأنفسهم عن مبارزتهم! ونادوا يا محمد أحرج إلينا أكفاءنا من قومنا! فنادى (ص) حمزة وعليا وعبيدة، فبرزوا لهم، فرهط عندهم المعتدون! فقتلهم

لا يوجب حنقا! لكن الدكتور رعاه الله يريد الظهور ببراعته في كل حادثة تاريخية بإخراج صورة لها لم يسبق إليها، فهو مولع بتجسيم الحوادث وتنميقها، فربما استعان لذلك بما لا واقع له ولا حقيقة!

وهذا مأخذنا عليه، فإن للحقائق قيمتها وشرفها، فقد ترى الباحث الممحص يكتب صحائف عديدة لإثبات أن اللفظ الفلاني مرفوع الحرف الأول أو مخفوضه مثلا. أما ما يصوره وينمقه مما لا يخل بالحوادث التاريخية فلا نناقشه فيه، وإن كنا لا نرتضي بعضه، ولو أردنا نقد ذلك لكتبنا أضعاف ما كتب، مع الايمان بأنه مجلي هذه الحلبة، وعقاب هذا الجو.. وإليك نموذجا من تصويره، مما لا يتفق هو والحقيقة فيه:

قال بعد أن ذكر قلة المسلمين وكثرة عدوهم، وبالغ في بطولة هذا العدو وانهزامه أمام قوة المسلمين المعنوية:

(والحق أن ظفر المسلمين في صبيحة يوم أحد كان معجزة من معجزات الحرب). ثم أطال في تصوير هذه المعجزة!

ونكتفي لإثبات ما ندعيه أن نذكره ونذكر القراء بوقعة بدر وما نال الفريقين منها، فيظهر أن هناك خطأ في التصوير، وضعفا في التفكير:

المسلمون في غزوة بدر خرجوا على غير استعداد للحرب، وكان قصدهم اعتراض عير قريش وتجارتهم، وكانوا من الفاقة وضعف الاستعداد على أسوأ حال، وعدتهم ثلاث مائة وثلاثة عشر مقاتلا، يقودون فرسا واحدا أو اثنين، ولما عرضوا على رسول الله (ص) قال: اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك!

والمشركون في غزوة بدر خرجوا مستعدين للحرب عليهم البيض والدروع، عدتهم ألف مقاتل، يقودون مائة فرس، على غاية من الفخر والمباهاة، وكانت العادة تقضي بالظفر لقريش لقوة عددهم وكثرة عددهم.
التقى الجيشان ففاز المسلمون بالظفر، وكان ذلك لاحتمالهم، فإن الجندي إنما يقاتل بقلبه دون سلاحه، والجيش يغلب بصبره لا بكثرته، فكم من شاك السلاح يقوم له أعزل فيسلبه سلاحه!
والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن خطب عرى
لا أدعي أن قريشا يوم بدر لا قلوب لهم، فإنهم المشهور لهم بين العرب بالبأس والبسالة وجرأة الجنان، ولكن القلوب تتفاوت شدة وضعفا، فالجبان إذا لقي أجبن منه كان شجاعا، والشجاع إذا لقي أشجع منه كان جبانا.. وأين لأبطال قريش قلوبا كقلوب أبطال المسلمين؟! فلقد أضيف إلى جرأتهم قوة الإيمان واليقين بما وعد الله سبحانه، بقوله: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وقوله سبحانه: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله). وقوله سبحانه: (ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون). وقوله صلى الله عليه وآله: (الجنة تحت ظلال الأسنة) ونحو هذا كثير.. فكان عظيم إيمانهم بهذه الآيات المحكمات يمثل لهم في بدر الجنة وقد تزخرفت وفتحت أبوابها، والحور العين وقد تزينت للقائهم، والملائكة حافين بهم

ليزفوا أرواح الشهداء منهم إلى الجنان، فكانوا لذلك يحرصون على الموت، ومن الذي لا يحرص على النقلة من الشقاء والبؤس إلى السعادة الخالدة والنعيم الدائم.
بخلاف قريش فإنهم يرون بالموت انتقالا من البقاء والوجود إلى العدم والفناء، أي من الخير المحض إلى الشر المحض، وهو أشد ما تأباه النفوس وترتاع له! لذلك ملئت قلوبهم رعبا وطارت ألبابهم فرقا من أبطال المسلمين حين رأوهم يستقبلون السيوف والرماح بطلاقة وبشر، وينغمسون في غمرات الموت ولهوات الشدائد طيبة نفوسهم باسمة ثغورهم!! فلم يملكوا أنفسهم عند ذلك دون أن فروا أمامهم في كل وجه، ومنحوهم أكتافهم يأسرون من شاؤوا ويقتلون من شاؤوا، ثم انقلب المسلمون إلى عاصمتهم ترف عليهم أعلام الظفر وألوية النصر، يقودون سبعين سيدا من قريش، مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، ثم باعوهم إلى أهاليهم وعشائرهم بيع الخول!!
وهذه الوقعة هي التي كانت للمسلمين معجزة من معجزات الحرب!
ما الظن بهاتين الفئتين لو التفتا بعد هذه الوقعة بحرب ثانية كغزوة أحد، ونسبتها في العدد والعدة كنسبتها أولا، وأبطال الفئتين بها أبطالهما في الواقعة الأولى؟
من منهما يقدر النصر والظفر؟ أليست العادة والمنطق يقضيان بالغلبة للمسلمين، لكن الدكتور يدعي خلاف ذلك! ويزعم أن انتصار المسلمين صبيحة يوم أحد معجزة من معجزات الحرب!!

غلطه في غزوة بنى المصطلق
بعد أن ذكر الدكتور سبب هذه الوقعة، ابتدأها بقوله:
(وجعل، أي رسول الله (ص)، لواء المهاجرين لأبي بكر، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة). ثم قال: (قتل من بني المصطلق عشرة) ثم قال: (فلم يجد بنو المصطلق بعد قليل من التراشق بالنبل مفرا من التسليم تحت ضغط المسلمين القوى السريع، فأخذوهم أسرى هم ونساءهم وإبلهم ومواشيهم).
ثم بدأ الفصل الثاني بقوله: (وكان لعمر بن الخطاب في الجيش أجير يقود فرسه.. الخ.). (صفحة ٣٤٢ من الطبعة الثانية)
أول ما يؤخذ عليه هنا: أن ابن هشام في سيرته التي يستوحي كتابه منها، لم يعرض للواء بشئ، ولم يأت على ذكره!
وكذلك أبو جعفر الطبري في تاريخه الكبير، لم يعرض للواء.
اما ابن سعد في الطبقات فذكر في أحوال علي عليه السلام عند ذكره البدريين ما لفظه:
(عن قتادة أن علي بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول الله (ص) يوم بدر، وفي كل مشهد). وذكر فيها أيضا:
(عن مالك بن دينار قال قلت لسعيد بن جبير: من كان صاحب راية رسول الله (ص) قال: إنك لرخو اللبب! فقال سعيد الجهني: أنا أخوك، كان يحملها في المسير ميسر العبسي، فإذا كان القتال أخذها علي بن أبي طالب).

هؤلاء الثلاثة هم أئمة التاريخ، وكتبهم من مصادر كتاب الدكتور، سيما سيرة ابن هشام!! على أن ما ذكره ابن سعد في الطبقات هو الذي يعضده المنطق ويؤيده العقل ويوجبه التمحيص.

إن اللواء كما يعلمه العقلاء كافة هو نظام الجيش وقطب العسكر، وبثباته يثبت، وبزواله يزول.. فاللائق إذن لحمله وأحق الناس به أجرأ الجيش جنانا وأثبتهم فيه قدما، وفي إسناده إلى غيره إضاعة للحزم وعمل بغير رأي، وقد اعترف الدكتور (وله الفضل) تبعا لكافة المؤرخين في وقعة أحد التي كانت أشد الوقائع على المسلمين وامتاز بها أهل الصبر والثبات وظهرت أقدارهم، قال الدكتور بعد أن وصف البلاء الذي حاق بالمسلمين والدهشة التي عمتهم: (وكان أكبر هم كل مسلم أن ينجو بنفسه إلا من عصم الله أمثال علي بن أبي طالب).

ثم قال بعد أسطر: (فأما الذين ظنوا أن محمدا قد مات ومن بينهم أبو بكر وعمر فاقتحموا النبل وألقوا بأيديهم، فرآهم ابن النصر وقال ما يجلسكم؟! قالا: قتل رسول الله (ص)! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل قتالا شديدا)!!

وقد كانت وقعة أحد قبل وقعة بني المصطلق، فكيف يجوز على رسول الله بعد هذا أن ينحي اللواء عن علي، ويجعله لأبي بكر؟!

إن أبا بكر بانقياد الصحابة له واجتماعهم على طاعته بعد رسول الله (ص) وسيرهم جمعيا تحت لوائه في غنى عن اغتصاب المناقب الثابتة لغيره، واغتصاب اللواء من علي وإسناده له! وأبو بكر من أعرف

الناس بفضل علي وأشدهم أعظاما له! روى الخطيب البغدادي بإسناده عن أنس قال: (كان رسول الله (ص) في مجلسه فدخل علي فسلم، ووقف ينظر أين يجلس، فجعل رسول الله (ص) ينظر في وجوه أصحابه من يفسح له، وكان أبو بكر عن يمين رسول الله (ص) فتنحى عن مكانه وقال: إلى هنا أبا الحسن فجلس بينه وبين رسول الله (ص). قال أنس: فنظرت إلى وجه رسول الله (ص) يتهلل ثم قال: يا أبا بكر إن أهل الفضل يعرفون الفضل لذي الفضل).

إن قيمة المؤرخ صدقه وأمانته، وبه تكون حياته وظهوره، وأنا أنكر على الدكتور أن يكون هناك رواية لأحد هؤلاء أو لغيرهم توافق ما ذكره! ثم أنكر عليه اعتماد تلك الرواية لو كانت، فروح التمحيص يأبى له ذلك، وما أكثر الروايات وأشد اختلافها.

ويؤخذ عليه قوله: (قتل من بني المصطلق عشرة)! أن ابن جرير في تاريخه الكبير قال ما لفظه: (وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس كثير، وقتل على بن أبي طالب منهم رجلين مالكا وابنه).

وابن هشام ذكر في سيرته ما لفظه: (وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس، وقتل علي بن أبي طالب مالكا وابنه، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم يقال له أحمر أو أحيمر).

فكيف جزم الدكتور بأن القتلى عشرة خلافا لابن هشام وابن جرير فإن العشرة أقل من الكثير، وبعيد جدا أن يفر بنو المصطلق ويسلموا نسائهم وذراريهم وأموالهم بقتل عشرة منهم! وقد كان عندهم من العزة والبأس ما كانوا يعتمدون عليه لغزو المدينة عاصمة النبي (ص)!!

ويؤخذ عليه قوله: (ولم يجد نبو المصطلق بعد قليل من التراشق بالنبل مفرا من التسليم تحت ضغط المسلمين القوي السريع، فأخذوا أسرى هم ونساؤهم وإبلهم ومواشيهم) فقد خالف بقوله أخذوا أسرى كافة المؤرخين ومنهم ما ذكره ابن هشام، فقد ذكر في سيرته ما لفظه: (فهزم الله بني المصطلق ونفل رسول الله أبناءهم ونساءهم وأموالهم)! وخالف الدكتور الذكر الحكيم في قوله سبحانه في سورة الأنفال: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)، نزلت في غزوة بدر أول غزواته (ص). وفي سورة محمد (ص): (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق)، وإنه بأدبه المثقف ليعلم أن الإثخان في العدو معناه المبالغة في الجراحة فيه، كما ذكره أئمة اللغة والتفسير، وضروري أن ذلك لا يكون بعد قليل من التراشق بالنبل كما ذكره!!

ويؤخذ عليه: تركه ذكر علي عليه السلام وعبد الرحمن في هذه الغزوة، التي لم يذكر أحد فيها بلاء لغيرهما! إذ لو كان لغيرهما بلاء لحفظ وروي! ولا نظن إلا أن هذين الرجلين مالكا وابنه اللذين قتلهما علي عليه السلام، وهذا الفارس (أحمر أو أحيمر) الذي قتله عبد الرحمن بن عوف كانوا حماة العدو وقادته، وأن قتلهم فل حده وأعان على فراره، ولذلك عني التاريخ بذكرهم! فكيف ذكر الدكتور أبا بكر في أول الفصل الأول في أن رسول الله (ص) جعل لواء المهاجرين له! وذكر عمر في أول الفصل الثاني بأن له أجيرا في الجيش يقود فرسه، ولم

يذكر عليا وعبد الرحمن بشئ! ولا مشقة عليه بعد قوله قتل منهم عشرة لو قال: علي اثنين، وعبد الرحمن واحدا.
ولئن اتهمناه في إغفاله ذكر علي عليه السلام فلا نتهمه في عبد الرحمن فإنه أحد العشرة المبشرة عنده، وأحد رجال الشورى، بل كل رجالها! ولئن اعتذرنا له بأنه لم يطلع على عمله، فهذه سيرة ابن هشام بين يديه يكتب عنها غزوة بني المصطلق سطرا سطرا، فليس تركه ذكر عبد الرحمن إلا لأنه متى ذكره فلا بد أن يذكر عليا عليه السلام، فكان نصيبه الحرمان! فرأى العمل بقول القائل:
أقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي!!
هذا هو التمحيص للسيرة الذي يتغنى به في كتابه (حياة محمد) ويردده بين أبناء هذا الجيل!! لا ذنب لعلي عليه السلام عند الدكتور وأمثاله إلا إطراء الشيعة له وتفضيله على غيره من الصحابة.
أمن العدل أيها العظيم بأدبه وذكائه إغفال علي عليه السلام وستر فضله؟ ومن أعرف منك بالعظماء، ومن أولى منك بتقدير قدرهم؟! أقف عند كتابة هذه الأسطر وجلا حيرانا يتنازعني عاملان، عامل الغيرة والأنفة لأهل الفضل الذين حفظ لهم التاريخ أعمالهم الصالحة أن تمحى من ألواح تلك الصحائف الرائعة، ليخلد ذكرهم لمن يأتي بعدهم من الأجيال خدمة للبشر ليقتدوا بهم..
وعامل الخشية أن نرمى بشق العصا وتفريق كلمة المسلمين، فإنها شعار المضلين يثيرون بها الدهماء والمستضعفين من الناس، ليصولوا بهم على أنصار الحق ورواد الحقيقة.

لكن الحق أحق أن يتبع، ومن يرد الله بعمله لا يعدم ناصرا: (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).
وفي هذه الغزوة مآخذ كثيرة، حين صور حوادثها كما يشتهي أن تكون، ولا حاجة بنا لذكرها، بل نكل ذلك لمن يراجع كتابه مع سيرة ابن هشام، من ذوي الفطنة والإنصاف!
* *

غلطه في غزوة العشيرة
لم يعقد الدكتور لهذه الغزوة في كتابه فصلا، بل ألمح إليها بكلمتين عند احتجاجه لرأيه فيما كان يقصده (ص) من الغزوات والسرايا، قال الدكتور: (يدعم هذا الرأي بأقوى منه أن النبي عليه السلام لما خرج إلى بواط والى العشيرة، كان من بين الذين صحبوه عدد غير قليل من الأنصار)
وقوله النبي عليه السلام من سهو القلم! فمن عادته أن يقول محمد! فلا مأخذ به! إنما يؤخذ عليه أنه لم يذكر في هذه الغزوة ما عمله رسول الله صلى الله عليه وآله، فهل لقي حربا، أو وادع أحدا، فإن هذا هو الذي يدعم رأيه ويقوي سنده، لأن قارئ كتابه إذا لم يعرف عن غزوة العشيرة شيئا، لا يكاد يفهم لسنده معنى، ومن عادته أن يشبع برهانه بيانا ووضوحا، ومن عادته أن يقف أثر ابن هشام في كل ما يذكر في سيرته! فكيف جرى في هذه الغزوة على خلاف ما اعتاده؟!
إن الدكتور رأى ابن هشام وابن جرير قد عنيا في هذه الغزوة
بذكر فضيلة لعلي عليه السلام، فلو ذكرها خالية من هذه الفضيلة توجه عليه النقد، فتركها ليأمن من النقد ويظفر بالإغفال! ولعل قصده

(والله أعلم بما قصد) تربية هذا النشأ وتمرينه على إهمال هذا الرجل ونسيانه، لتكون لهم عقيدة ينكرون بها على كل من ذكر له فضلا!!

ذكر ابن هشام في سيرته ما لفظه: (وفي تلك الغزوة قال لعلي بن أبي طالب ما قال.

قال ابن إسحاق فحدثني يزيد بن محمد بن خيثم المحاربي، عن محمد بن كعب القرضي، عن محمد بن خيثم بن يزيد، عن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فلما نزلها رسول الله وأقام بها رأينا أناسا من بني مدلج (وهم الذين وادعهم رسول الله (ص) في هذه الغزوة) يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان هل لك في أن نأتي هؤلاء القوم فننظر كيف يعملون؟ قال قلت: إن شئت. قال فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة حتى غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في سور من النخل وفى دقعاء من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وآله يحركنا برجله فقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها، فيومئذ قال رسول الله لعلي بن أبي طالب: يا أبا تراب، لما يرى عليه من التراب. ثم قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس، رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا، ووضع يده على قرنه، حتى ليبل منه هذه، وأخذ بلحيته.

قال ابن إسحاق:

حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله إنما سمى عليا أبا تراب لأنه كان إذا عتب على فاطمة في شئ لم يكلمها ولم يقل لها شيئا بكرهها، إلا أنه

يأخذ ترابا فيضعه على رأسه! قال فكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة، فيقول مالك يا أبا تراب؟ فالله أعلم أي ذلك كان).

أقول: الظاهر أن كل ذلك كان، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول في قاتل علي عليه السلام إنه أشقى الناس، فلا بد أن يكون هو أسعد الشهداء وسيدهم، وتلك فضيلة لا يوازيها فضل، فكيف لم يذكرها الدكتور؟!!

بربك لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعمر بن الخطاب في تلك الغزوة: إن قاتلك أشقى الناس، أفكان يهملها الدكتور؟ كلا! بل كان يجعل الغزوة كلها تمهيدا لذكرها!!

فيا للتعصب وقوته الجبارة، كيف تسطو على النفوس الكبيرة فتدعها منقادة لمشيئتها!

* *

غلطه في حادثة وفد نجران

إنك لتكبر الدكتور وتعجب به أي إعجاب، حين تنظر في مقدمة كتابه (حياة محمد) وتسمعه يملي عليك مالديه من الكتب القيمة، وعنائه واجتهاده في استخراج كتابه منها، ويملي عليك هيامه بالحقيقة وحرصه الشديد على تمحيص حوادث السيرة النبوية بأخذها من مصادرها الموثوقة، ويملي عليك مقته للجمود وحبه للاجتهاد وإطلاق العنان للرأي! ويملي عليك إنكاره على المحدثين فيما يروونه مما يأباه الذوق ويمجه العقل، وأن ذلك منهم تأييدا للعقيدة ورعاية للمذهب!

فإذا وصلت إلى مقاصد الكتاب ذهب بك العجب كل مذهب، إذ لا تراه يقوم بما أخذه على نفسه، وإن شئت معرفة ذلك فاقرأ مع كتابه سيرة ابن هشام، لتراه يمليها عليك جملة جملة، ولا يعتد بغيرها من كتب الحديث والسير إلا نادرا.

وترى أنه ينجاز إلى التقاليد الموروثة في علي عليه السلام، وأنه يذهب في سبيل ذلك إلى ما يأباه العقل!!

وكل ما ذكر مجموع في حادثة وفد نجران!! وقد ذكر ابن إسحاق أنها كانت في السنة الأولى من هجرته صلى الله عليه وآله، وخالفه في

ذلك من مرت عليك أسماؤهم من المحدثين والمفسرين والمؤرخين، فعمل بقول ابن إسحاق، ذلك القول الشاذ، وترك قول الجمهور!!
فأين التمحيص والأخذ من المصادر الموثوقة، وقد أقمنا البرهان على أن هذا القول يأباه العقل وينكره، وقد ذهب اليه. ولا إخالك ترى وجها للذهاب اليه إلا لينسى قراء كابه هذه الفضيلة الفاضلة لعلي عليه السلام وزوجته وابنيه.. وهذا هو الرعاية للعقيدة الموروثة!
إنك أيها العبقري من أعرف الناس بنفس رسول الله صلى الله عليه وآله، يشهد لك تحليلك وغورك، فعليك أن تهوى كل نفس تشبهها وتماثلها، وقد شهد لك الذكر الحكيم أن نفس علي هي نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، تلك النفس الكبيرة التي يهمك جلالها وجمالها، فكيف لم تعطها حقها، ومن أكبر شهادة من الله؟!
قلت في آخر تقديم كتابك: (ولقد تبينت أن أصدق مرجع المسيرة إنما هو القرآن الكريم، فيه إشارة إلى كل حادثة من حياة النبي العربي، يتخذها الباحث منارا يهتدي به في بحثه، ويمحص على ضيائه ما رود في كتب السنة وما جاء في كتب السير المختلفة).
ما أجمل هذا القول، وما أسمى هذا الرأي، كيف تراه يأخذ بالقلوب إلى محبة قائله والثقة به، إذ هو روح الحقيقة ولباب الثواب.
نقول: لا ريب أن المحدثين والمفسرين والمؤرخين ومنهم ابن هشام، متفقون على أن السيد والعاقب وأبا حارثة، ومن صحبهم من وفد نجران، قدموا على رسول الله (ص) وفيهم نزلت آية المباهلة: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقد تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم

ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) وأن رسول الله (ص) دعاهم إلى المباهلة فقبلوا، لكنهم اختلفوا في كيفية الحادثة ووقتها، فابن إسحاق يزعم أنها وقعت في السنة الأولى من هجرته (ص) وأنه حين دعاهم إلى المباهلة لم يدع أحدا من أولاده ونسائه وأنفسه.

أما غيره ممن ذكر فقد زعم أنها في السنة العاشرة، وأن رسول الله (ص) حين دعاهم إلى المباهلة خرج من بيته والحسن والحسين بين يديه وعلي إلى جنبه وفاطمة خلفهم، وأن هذا الوفد لما رأى تلك الوجوه التي قال فيها أسقفهم (لو أقسمت على الله أن يزيل جبلا لأزاله) نكص وارتد عن المباهلة.

فليت التمحيص هنا؟! أليس في آية المباهلة إشارة إلى هذه الحادثة التي اختلفت فيها السير؟ فهلا اتخذتها أيها الباحث منارا تهتدي به في بحثك، وتمحص على ضيائه ما ورد في كتب السير المختلفة.

وليتك إذ لم تمحص على ضيائها ذكرته في كتابك الذي أكثرت فيه من تلاوة الذكر الحكيم، وقلت بعده: (إن كتاب أسباب النزول للواحدي وكتاب الناسخ والمنسوخ لأبي نصر، إنما تناولا هذا الموضوع تناولا موجزا، على أني وقفت فيهما وفيما رجع اليه من كتب التفسير على مسائل عدة، استطعت أن أمحص بها ما ورد في كتب السير).

نقول: لم لا كانت حادثة نجران من تلك المسائل العدة، فإن الواحدي في أسباب النزول، والرازي، والزمخشري، والبيضاوي،

وغيرهم ممن تليت أسماءهم، قد ذكروا نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام؟!
أترى أن معالي الدكتور خفيت عليه حادثة وفد نجران فلم يهتد إلى تمحيصها؟ كيف وهو بمواهبه السامية يطلعنا على غوامض الحكمة ودقائق الأسرار؟!
لكنه جرى على ما يجري عليه الناس (إلا من عصمه الله) من التحيز لما ألفه ونشأ عليه من العقيدة، والانتصار للتقاليد الموروثة!
وغيرها لعمرك أليق بالعلماء.. واعجب لقوله في أول تقديم الكتاب: (ولقد يعجب الإنسان أن يظل تعصب المسيحية على الاسلام بهذه الشدة في عصر زعم أنه عصر النور والعلم)!
نقول للدكتور: إن محمد بن إسحاق الذي سلكت جادته واقتفيت أثره، عند ذكره لحادثة نجران ذكر آية المباهلة وما قبلها وما بعدها، وما نراك أتيت على ذكرها! فما الذي دعاك إلى تركها وقد ذكرت ما قبلها وما بعدها؟! وإن من سيرتك إذا ذكرت حادثة لها شاهد من الكتاب العزيز أن لا تهمل ذكر ما يشهد لك من آياته، فكيف جريت في هذه الحادثة على غير سيرتك؟! أليس لأنك شئت أن تغفل هذه الكرامة لأهل البيت عليهم السلام، وأن تنسيها قراء كتابك؟! فقد رأيت أن في ذكر الآية إلفاتا وتنبيها إلى عظمتهم.
ثم لم تخف لباقتك في الإغفال حين تجنبت لفظة المباهلة في حادثة نجران، كما تجنب ابن عطاء لفظة الراء! فقلت صفحة ٢٣٥: (دعى

محمد اليهود والنصارى إلى هذه الدعوة)! فأشرت بقولك هذه الدعوة إلى ما تضمنته الآية التي ذكرتها سابقا بقولك وهي: (قل يا أيها الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولو اشهدوا بأنا مسلمون).

ولم تصب الواقع في فهم التنزيل، فإن معنى هذه الآية أنهم إن تولوا ولم يجيبوا إلى ما دعاهم اليه أن يقول اشهدوا بأنا مسلمون، لا أن يلاعن النصارى! إن ملاعنة النصارى إن حاجوه في عيسى كما صرحت به الآية التي قبلها وهي آية المباهلة، ولا دخل لليهود فيها!!

ولو أن الدكتور ذكر آية المباهلة قبل هذه الآية لأصاب المراد، ولكنه أبى إلا إغفالها! وها نحن نذكرها تبركا وتسهيلا للقراء:

(فمن حاجك فيه (أي عيسى) من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين. قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

إن الدكتور باختياره قول ابن إسحاق قد وقع في مآزق حرجة لا ينجو منها ولو استعان بجميع الكتاب والمفكرين!

منها: أنه بعد أن ذكر وفد نجران ونعتهم بما له من الأبهة والشأن، وأن قدومهم كان في السنة الأولى من الهجرة، وظن أنه سيسأل عن

معنى هذا الوفد، وعن المهمة التي قدم لأجلها، وقطع بسببها تلك المراحل، واحتمل في سبيلها ذلك العناء؟ قال: (ولعل هذا الوفد إنما جاء مدينة النبي (ص) حين علم بما بينه وبين اليهود من خلاف، طمعا في أن يزيد هذا الخلاف شدة حتى يبلغ العداوة، فيريح النصرانية المتضامنة في الشام وفي اليمن من دسائس اليهود وعدوان العرب).
(صفحة ٣٣ من الطبعة الثانية)
نسأل أهل الفضل عن معنى هذا الكلام لهذا الفاضل المنصف، وهل يصح هذا الكلام؟ إذا كان عند يهود الحجاز من الجيش والسلطان ما يهدد قيصر باحتياج سلطانه والإتيان على النصرانية، وكان عند رسول الله (ص) أول العهد بيثرب نظير ذلك من القوة، فجدير حينئذ بملكي نجران (السيد العاقب وأسقفها أبي حارثة) أن يؤلفوا وفدا ضخما كما وصفه ليوقع الخلاف بين هاتين الدولتين العظيمتين رسول الله (ص) أول العهد بيثرب، ويهود الحجاز، فيريحوا النصرانية كما ذكر!!
لقد كان رسول الله (ص) أول العهد بيثرب أكبر همه إيواء أصحابه الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وإغاثتهم بما يقوتهم، وليس عنده من البأس ما يخاف له ويرجى، وكذلك الحال في يهود الحجاز، فإنهم إنما حقنوا دماءهم وعاشوا بين العرب بفضل حلفهم للأوس والخزرج ساكني المدنية. فليس لهذا القول وجه صحيح. وكيف يخشى على النصرانية في الشام من أمثال هؤلاء الضعفاء وملكهم قيصر أعظم ملوك الشرق، أو يخشى على النصرانية في اليمن وملوكها بقايا حمير ورهم

أقوى العرب منعة وأعزهم دارا؟! والعجب كيف تطوع لهذه المهمة نصارى اليمن دون نصارى الشام والحيرة؟!
إنني أجل الدكتور وأرفعه عن مثل هذا الرأي فإنه مهزلة.
ومنها: أنه بعد أن ذكر هذا الوفد والمهمة التي قدم لأجلها طفحت قريحته ونأى به الخيال، فراح يصور لنا الموقف، قال: (واجتمعت الأديان الثلاثة الكتابية بمجئ هذا الوفد وبجداله النبي (ص) وبقيام ملحمة كلامية عنيفة بين اليهودية والمسيحية والاسلام).
ثم قال بعدها:
(أي مؤتمر أعظم من هذا المؤتمر الذي شهدته يثرب، تلتقي فيه الأديان الثلاثة التي ما تزال حتى اليوم تتجاذب مصاير العالم، وتلتقي فيه لأسمى فكرة وأجل غاية).
هنيئا للدكتور هذا البيان وهذا الأسلوب، ولعمري إنه الغاية في الجمال والإبداع لو بني على أساس! لكنه لم يلبث أن هدم ما بنى ومحا ما أثبته حين يقول:
(دعا محمد اليهود والنصارى إلى هذه الدعوة... وأن يلاعن النصارى، فأما اليهود فكان بينه وبينهم عهد الموادعة).
يقال له: إن الملاعنة التي أمر صلى الله عليه وآله بالدعوة إليها هي القول الفصل والحجة القاطعة، فلو كان هناك مؤتمر كما ذكرت أو ملحمة كلامية، لوجب دعوة رجال ذلك المؤتمر وجند تلك الملحمة جميعا إلى هذه الملاعنة!

فكيف يجوز دعوة النصارى إليها دون اليهود واليهود أحق بها؟ فإنهم هم البلاء الذي كان يحيق بالمسلمين أول العهد بيثرب، يفتنون ضعفاء المسلمين عن دينهم تارة، ويظاهرون المنافقين على رسول الله (ص) والمسلمين تارة، وقد ذكر الدكتور في كتابه الشئ الكثير عنهم، وفي الذكر الحكيم غنى عن كل ذاكر، يقول سبحانه: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى...).

أيجوز أيها المثقف في أحكام العقول أن يأمر سبحانه نبيه (ص) بدعوة بعض رجال ذلك المؤتمر الذي شهدته بزعمك يثرب إلى الملاعنة وفيها البوار والاستيصال، ومنهم أولئك البعض هم أقرب الناس مودة له، ويترك البعض الآخر وهم أشد الناس عداوة له؟! أليس هلاك هؤلاء واستيصالهم أعود على المسلمين بالخير، بل على البشرية جمعيا؟ أليس في دعوة النصارى وترك اليهود ترويج لدعوتهم وتقرير لصحة دينهم، وإغراء لهم بالفساد والتضليل؟

وما يمنعهم حينئذ أن يفتنوا ضعفاء المسلمين عن دينهم بقولهم لو يعلم محمد فساد ديننا لدعانا إلى الملاعنة كما دعى النصارى، أو نحو هذا من القول؟! فأين المؤتمر، وأين الملحمة، وأين اليهود..؟!!

وهذا لعمر الحق جلي لمن أنصف. وهيهات أن يصلحه قولك: (فأما اليهود فكان بينه وبينهم عهد الموادعة)، فقد علمت وعلم أهل الفضل أن

عهد الموادعة التي كانت بين رسول الله (ص) وبين اليهود إنما هي ترك الحرب والقتال، فأين منها المقارعة بالحجة والبرهان والمجادلة بالتي هي أحسن، وأي جدال أحسن من أن يقول اليهود لرسول الله ديننا خير من دينك أو نحوه فيقول (ص) في جوابهم هلم (فنبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)؟ جدال لا صخب فيه ولا ضوضاء، ولا نقض ولا إبرام.

ولو كانت المقارعة بالحجة نقضا لعهد الموادعة كما زعمت، لنقض هذا العهد يوم قامت تلك الملحمه الكلامية، ولا مانع بعد هذا لرسول الله (ص) أن يدعوهم إلى الملاعنة إذ لا عهد بينهم! ولا يكاد ينقضي عجبي لهذا الفاضل المثقف كيف يرى مثل هذا جوابا.

إنني وأيم الحق لأغار على مثل هذا الكتاب (حياة محمد) الذي حاول مؤلفه بما بذله من الجهود ليخرجه للناس المثل الأعلى في التمحيص أن يضم مثل هذه الآراء، مع ما له من آراء سامية!

ومما يعجب له المرء قوله بعدما تقدم من كلامه بلا فصل:

(إذ ذاك تشاور النصارى ثم أعلنوا اليه أنهم رأوا أن لا يلاعنوه وأن يتركوه على دينه ويرجعوا على دينهم)!

كيف نراه طوى ما دار بينهم من المشاورة والرأي تثبيتا لرأيه! لكن ابن إسحاق ذكر في سيرته التي يستوحيها الدكتور فقال في سبب امتناع وفد نجران من المباهلة وما دار بينهم من الحوار: (ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ماذا ترى؟ قال والله يا معاشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لا عن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه الاستيصال

منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم).

وكيف لم يذكر الدكتور شيئا من هذا الكلام خصوصا قوله

(فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم) فإن الموادعة معناها المصالحة والمعاهدة، كما ذكرها الدكتور قبل هذا بقوله: (فأما اليهود فكان بينه وبينهم عهد المواعة)، وإذا كان كذلك فكيف يستقيم هذا مع رسول الله (ص) أول العهد بيثرب، إذ لا حاجة لهذا الوفد إلى موادعته يومئذ، فلا دولة له ولا سلطان، فرأي أسقفهم بهذا يعد لغوا من القول! وإنما يستقيم معناه إذا كان آخر العهد بيثرب حين ملك صلى الله عليه وآله الجزيرة، وجرى حكمه فيها على أهل الوبر والمدر، كما هو رأي جمهور المؤرخين، ومنه تعرف أن هذا الوفد كان مرتهنا عند رسول الله (ص) لا يملك الانصراف إلى بلاده إلا بإحدى ثلاث: الاسلام أو المباهلة أو الموادعة.

فانظر إلى لباقته كيف طوى ما ذكره ابن إسحاق في السيرة؟!! ومنه تعرف ما في قوله بعد ما تقدم بلا فصل: (لكنهم رأوا حرص محمد

(ص) على العدل حرصا احتذى أصحابه فيه مثاله، فطلبوا اليه أن يبعث معهم رجلا يحكم بينهم في أشياء اختلفوا عليها من أقوالهم)!!

أقول هذا كسابقه لا يصلح إلا أن يكون في السنة العاشرة! وعجيب منه كيف لم يغفل ذكر طلبهم من رسول الله حاكما يحكم بينهم ويطويه كسابقه! فإن هذا الطلب ينادي بأن هذه الوفادة كانت بعد خضوع

اليمن لرسول الله (ص) وأن ذلك الحاكم الذي طلبوه هو العامل له فيهم! وأن سلطان رسول الله (ص) هو النافذ فيهم أحكامه.
وكأن الدكتور اعتمد في رفع هذا الاشكال على ما قدمه من قوله: (رأوا حرص رسول الله (ص) على العدل حرصا احتذى أصحابه فيه مثاله) يعني أن أصحاب رسول الله (ص) لما كانوا شديدي الحرص على العدل، أحب هذا الوفد التخلق بهذا الخلق، فطلبوا من النبي (ص) معلما يعلمهم هذا الفن، وأنه ليس في هذا التعليم شئ من الملك والسلطان لرسول الله (ص)!!
ألا تقف هنا وقفة تعجب من حادثة نجران؟!
ليت شعري أي شئ هذا من القول؟ ومن يجهل معنى العدل وحقيقته؟! إنما الإشكال في إقامته وتنفيذ أحكامه، وأقدر الناس على ذلك الملوك والأمراء إذا ألفوه وأحبوه.
ولئن كان ملكا نجران السيد والعاقب وأسقفهم وعلامتهم أبو حارثة قد راقهم حرص رسول الله (ص) وأصحابه على العدل، فما أهون التخلق به عليهم، فكيف يطلبون منه (ص) أول العهد بيثرب حاكما من أصحابه، وليسوا مقرين له يوم ذاك بنبوة ولا سلطان، وليس أصحابه في نظرهم إلا كبعض عبيدهم ومساكينهم؟!
وأعجب من ذلك قوله: (أن يحكم بينهم في أشياء اختلفوا عليها من أقوالهم) لم نفهم معنى هذا القول، ولعله قصد بأقوالهم كما هو الظاهر آراءهم ومعتقداتهم في دينهم، وعليه فمن أبن لأصحاب رسول الله

معرفة ذلك، وهم لم يدرسوا كتبهم، ولا ناظروا في أقوالهم وآرائهم وأكثرهم أميون، وإنما يعرف ذلك علامتهم وأسقفهم أبو حارثة!
هل إلى هذه الغاية بلغت البلاهة بهذا الوفد المؤلف من ملوك وعلماء أن يحكموا بينهم فيما اختلفوا فيه من مذاهبهم وعقائدهم من يجهل دراستها وكتبها المؤلفة فيها؟!
ولو شاء هؤلاء أن يعرفوا صحيح عقائدهم عن طريق أصحاب رسول الله (ص) لاعتنقوا الإسلام وصدقوا دعوة الرسول (ص)!!
لا ألوم الدكتور من بين أهل الفضل، فإن لهم في أمثال ذلك الطويل العريض! إنها التقاليد الموروثة والعقائد المألوفة لا يقوم سلطان العقل لقهرها وكبح جماحها، إلا إذا أمدته العناية بالعصمة والهداية. وهل هي إلا كالعادات المألوفة من لدن الصبا؟ فكم من ذي حجى قد ألف من العادات ما يشينه ويؤلمه فلا تراه مقلعا عنه ولو بلغ به الألم والشين ما بلغ!!

وقفة عند ابن إسحاق صاحب السيرة

وقفتنا عند ابن إسحاق صاحب السيرة التي يستوحي الدكتور كتابه (حياة محمد) منها: فربما سأل أحد محمد عن إسحاق ومحله من العلم ومنزلته من الولاء لأهل البيت: لماذا أغفل حديث المباهلة في سيرته وخالف الجمهور؟!

فمحمد بن إسحاق من قدماء المحدثين وحفاظهم وثقاتهم، واليه كانت تشد الرحال، سيما في السير والمغازي، وهو أول من كتب في السيرة كما أعلم، وربما رمي بالتشيع.

وقع بينه وبين جماعة من فقهاء المدينة ومنهم الإمام مالك بعض ما يقع بين أهل العلم ومراجع الدين، فرفعوا أمره إلى حاكم المدينة فأمر بإخراجه منها، فسكن بغداد وبها أبو جعفر المنصور، وكان عارفا به وبفضله.

دخل على المنصور يوما (كما في ميزان الذهبي وتاريخ بغداد للخطيب) وبين يديه ولده المهدي فقال له أتعرف هذا يا بن إسحاق؟ قال: نعم هذا ابن أمير المؤمنين، فقال: ألف له كتابا في السيرة، فألف له هذه التي هي في أيدي الناس، وتنسب لعبد الملك بن هشام فإنه الراوي لها، ومنه تعرف سبب إغفال ابن إسحاق حديث المباهلة وطيه تلك الفضيلة الفاضلة لأهل البيت عليهم السلام، فإنها التقية! وكم أغفلت التقية من مناقبهم وسترت من فضلهم! لكن الحق مهما لج ساتره في إخفائه، لج هو في المقاومة والظهور!

ومن قرأ حوادث الدولة العباسية وما وقع بين المنصور وبين ولد علي عليه السلام، يتبين ما قلناه في السيرة من التقية.

ولابد من الإشارة إلى شئ من ذلك إتماما للفائدة:

لما استقام سلطان المنصور بقتله أبا مسلم وقبضه على عمه عبد الله بن علي، انصرف بكله إلى البحث عن محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن

الحسن، وكانا قد استترا عند انتقال الدولة لولد العباس، وقلق حين لم يظفر بها، وقبض على أبيهما وإخوته وأودعهم أضيق السجون، وعذبهم أشد العذاب، ثم طلبهما أشد الطلب، حتى اضطرهما إلى الخروج عليه!

خرج محمد بالمدينة وبايعه أهلها بالخلافة، ولما بلغ المنصور خروجه هاله ذلك، وترسل بكل حيلة لإقناعه، وجرت بينهما مراسلات يحتج بها كل واحد على أنه أحق بالخلافة بفضل آبائه، المتقربين إلى رسول الله (ص). والتاريخ يحفظ تلك الرسائل وهي مبذولة لمن شاءها، فقد ذكرها أبو جعفر الطبري في حوادث سنه ١٤٥.

ووجه اليه المنصور عيسى بن موسى بن علي بالعساكر وقتله.

ثم تلاه بالخروج أخوه إبراهيم، خرج بالبصرة وبويع له فيها بالخلافة وقوي أمره واستولى على الأهواز وفارس وواسط، وتوجه نحو المنصور بالعساكر، فوجه المنصور لحربه عيسى بن موسى فهزمهم إبراهيم حتى وصل أوائلهم الكوفة وبها المنصور، فدعا بركابه وعول على الفرار، لكن المقادير شاءت له النصر، فلم يلبث أن أتاه البشير بقتل إبراهيم وفرار جيشه، فأنشد المنصور متمثلا بيت البارقي:

فألقت عصاها واستقربها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فما يكون حال ابن إسحاق بعدما سمعت، وقد أخرج من المدينة وقدم بغداد لائذا بظل المنصور مستميحا عطفه وبره؟ وما يكون حال السيرة التي أمره المنصور بتأليفها وإهدائها له وهو ذلك اليقظ الجبار، فلو ذكر ابن إسحاق فيها حادثة نجران كما وقعت وأن الله سبحانه أمر

نبيه (ص) أن يدعو عليا من بين كافة الصحابة ليباهل به وجعله نفسه في المنزلة، والعباس أكبر بني هاشم سنا إلى جنبه لم يعرض له.
وأن يدعو الحسن والحسين من بين كافة غلمان بني هاشم للمباهلة، وهذا عبد الله بن عباس لم يأبه له!!
فأي فضل بعد هذا للعباس وبنيه، ليتعلق به المنصور ويساجل أبناء علي عليه السلام، ويحتج به عند شيعته ومواليه.
وهل ذكر هذه الحادثة من فضل علي عليه السلام في هذه السيرة التي سيقرؤها الوجوه والقواد من شيعة بني العباس قبل غيرهم، إلا كدعوة لآل علي عليه السلام؟!
وأي قتلة يقتلها ابن إسحاق لو فعل ذلك؟!
فلا محيص له إذن عن حذف كل ما فيه خطر على حياته من فضل علي وولده عليهم السلام، وإثبات كل ما يبعده عن التشيع من فضل الصحابة وأولياء الأمور منهم.
وكم فتن بهذه السيرة أناس، فإنها أول كتاب ألف في السيرة النبوية! سيما المنحرفون عن أهل البيت عليهم السلام، فقد راحوا يعتمدونها ويحتجون بها! لكن الصيارفة من علماء الحديث والرجال عرفوا ما اشتملت عليه من الأحاديث الزائفة المقطوعة، ونبهوا على ضعفها وعدم الوثوق بكل ما ورد فيها، وقد تلونا عليك شيئا من ذلك.
إن التمحيص كما يعلمه العلماء عند اختلاف الحوادث، يكون بالعرض على كتاب الله، فما وافقه قبل وما خالفه رد. فإن لم يكن

شاهد من الكتاب عرض على السنة، فإن اختلفت الرواية في ذلك عمل بقول الأوثق، فإن لم يكن شاهد من السنة عرض على العقل، فما قبله عمل به، وما أباه رد.
وحادثة نجران يشهد لها الكتاب والسنة والصحابة، والعقل السليم. وقد أطلنا القول في هذه الحادثة تبعا للدكتور، فقد أطال الكلام فيها وأتعب نفسه بما رحمته له.
* *

نقد ما كتبه في عام الوفود
قال الدكتور بعد أن ذكر الوفود وحجة الوداع:
(وقدم وائل بن حجر الكندي مع الأشعث بن قيس، وكان أمير ببلاد الشاطئ من حضرموت، فأسلم فأرسله النبي (ص) في إمارته على أن يجمع العشر من أهل بلاده ليرده إلى جباة رسول الله (ص)، وكلف النبي معاوية بن أبي سفيان أن يصحب وائلا إلى بلاده، وأبى وائل أن يردفه أو يعطيه نعليه يتقى بهما حمارة القيظ، مكتفيا بأن يدعه في ظل بعيره! وقبل معاوية ذلك على مخالفته لما جاءه الاسلام من التسوية بين المسلمين، ومن جعل المؤمنين أخوة حرصا على إسلام وائل وقومه) (صفحة ٤٢ من الطبعة الثانية)
كنت أود للدكتور غيرة على أدبه وصونا لفضله، أن لا يذكر مثل هذه القصة التي يأباها الأدب ويردها المنطق، ويراها من خرافات القصاصين ومن لا قيمة لهم من المؤرخين! وليته اكتفى بهذا الإجمال عند عده الوفود حين يقول: (ولقد أفرد ابن سعد في طبقاته الكبرى لوفادات العرب على الرسول خمسين صحيفة كبيره، نكتفي بأن نذكر منهما أسماء القبائل والبطون التي أوفدتها، فقد جاءت وفود من مزينة. وأسد. وتميم. وعبس. وفزارة. ومرة. وثعلبة. ومحارب. وسعد. وبكر)
ثم عد تمام خمسة وسبعين وفدا، ومنهم كندة قبيلة وائل! لكنه أبى إغفال هذه الفضيلة لمعاوية!

إنه ليعلم وكل من له إلمام بالتاريخ ولو يسيرا، أن قريشا أهل حضارة وسعة من الثراء، ومن أوسعهم أبو سفيان، فلم يعتادو الحفا كسكان البادية، فمعاوية إذن ربيب الترف والنعمة، فكيف استطاع السير مع (وائل بن حجر الكندي) إلى حضرموت راجلا حافيا في حمارة القيظ مسيرة سبعة أيام أو ثمانية؟!

أين عنه ثروة أبي سفيان؟ أما كان عنده بعير واحد يركبه معاوية؟!

وهب أن فعله الخير بعد إسلامه ذهب بثروته، فقد ذكر المؤرخون كافة، ومنهم الدكتور صفحة ٤٠٧ من الطبعة الأولى أن رسول الله (ص) أعطى أبا سفيان من غنيمة هوازن مائة من الإبل، وأعطى ابنه معاوية مثلها.. فأين ذهبت المائتان، فلم يبق منها ولا بعير واحد للركوب، ولم يأت عليها من الزمن ما يذهب بها؟! فقد كان بين هذا الوفد وبين غنيمة هوازن ما لا يزيد على سنة.. إن هذا لغريب!

ولئن سلمنا جدلا، فأين ابن عمه عثمان أغنى الصحابة وأرأفهم بأهل بيته، لم يأنف لهذا الشاب المترف النبيل يسير في ركاب هذا الكندس راجلا حافيا كبعض عبيده؟!

ودع كل هذا، فأين رسول الله (ص) ملك الجزيرة، تجبى اليه صدقاتها وخراجها، وهو أكرم الخلق وأرأفهم.. أما كان عنده من إبل الصدقة، ما يحمل عليه معاوية؟!

ولئن جاز ذلك فكان عليه أن يركبه ناقته! وخل عنك حمله، فقد كان عليه أن يشترى له نعلا يقيه حمارة القيظ، أو أن يعطيه نعله.

ولو فرض عجز رسول الله (ص) عن ذلك، أما كان في المسلمين من يتبرع لمعاوية بإعارته نعله وهو ساع في مصالحهم؟!
وهل يجيز العقل وقوع مثل هذا الحادث من رسول (ص) والمسلمون في إبان سلطانهم؟!
وطريف قول الدكتور: (وأبى وائل أن يردفه أو أن يعطيه نعله يتقي به حمارة القيظ، مكتفيا بأن يدعه يسير في ظل بعيره)!!
هل يمكن أن يسير الرجل في ظل البعير عند ارتفاع النهار؟!!
وهبه التصق بالبعير في سيره، فذلك لا يقيه حمارة القيظ! فهل ظن الدكتور أن مرور ظل البعير على الرمل يطفئ حرها؟!
وأطرف من هذا قوله: (وقبل معاوية ذلك حرصا على إسلام وائل وقومه)! يعني أن معاوية كان له الحق في أن يغصب وائل نعليه، وأن يكرهه على إردافه، لكنه خشي إن فعل ذلك أن يرتد وائل وعشيرته عن الإسلام، فحفظ باحتماله هذا المكروه إسلام وائل وعشيرته!!
إذن أي رجل يكون معاوية في حفظ الاسلام ونشره؟!!
ما كنت أحسب أن تفكير العظماء ربما بلغ إلى هذه الغاية!
وإنك لتعجب لحرص الدكتور على إثبات هذه الفضيلة إذا رأيته فرغ من ذكر الوفود ومنهم كندة قوم وائل، وفرغ من حجة الوداع، ثم عاد فذكر وفد كندة بعد مقدمة تقرب من صحيفة تتناسب مع إفراد هذا الوفد بالذكر، وكأنه بعد أن فرغ من كتابة الوفود وحجة الوداع، عثر على هذه الفضيلة لمعاوية!

ومما قاله في هذه المقدمة وقد كرره بالمعنى مرارا: (وكان النبي (ص) يكرم كل وافد عليه ويرد الأمراء مكرمين إلى إمارتهم) ثم ذكر ما سبق أن ذكره في الفصل الماضي ومنه (أن الأشعث بن قيس قدم في وفد كنده في ثمانين راكبا) ثم ذكر حواره مع النبي (ص) ولم يذكر فيه شيئا من مظاهر كرمه (ص) الذي استهل به مقدمته، ثم قال: (وقدم وائل بن حجر مع الأشعث)، فقد قدم ذكر الأشعث، ثم اتبعه بوائل ليخفي على القارئ قصده من عقد هذا الفصل!!

ما يقال للدكتور وهو يعقد مثل هذا الفصل الطويل لمثل هذه المهزلة؟ ثم يغفل تلك الخدمات الجليلة لعلي عليه السلام، أو يمر بها مرور العجلان؟!!

قال الشيخ حبيب المهاجر رحمه الله:

(هذا تمام ما وجدته في المسودات التي تركها العلامة السيد عبد الحسين نور الدين، والحمد لله رب العالمين).

* *